روايات مصرية للجيب

اغتيال كمبيوتر

٧

سلسلة نسور

للخيال العلمي

رءوف وصفي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكَوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم نكن نصدّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوّامة الكونيّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرُق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُّر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكَوْن ..
فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا في تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكَوْن ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكَوْن ..
وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى ثؤدة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

اغتيال كمبيوتر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

(إعـداد)

تركزت معظم الأنشطة الإنسانية فى (المعرفة) ..

الكمبيوتر العملاق الذى نما فى غضون فترة خمسين عامًا .. حتى غطت تفريعاتـه .. ووصلاتـه .. كل مدينـة وقريـة على سطح الكرة الأرضية ..

كان هناك جيش من العاملين المدنيين .. الذين يغذون هذا الكمبيوتر بالمعلومات باستمرار ..

بينما كان جيش آخر يفسر .. ويحلل .. ويربط بين الإجابات التى يعطيها ..

كما يرابط عدد هائل من المهندسين لاستبدال أى قطع غيار بأخرى .. كاملة .. ودقيقة .. وبأسرع وقت ممكن ..

نظّم (المعرفة) الاقتصاد العالمى .. ووجهه .. نحو رجاء الإنسان ..

وساعد العلوم والتكنولوجيا على التطور ..

والأهم من ذلك كله .. أنه كان الجهة المركزية الوحيدة .. لأى حقائق عن كل شخص يعيش على سطح كوكب الأرض ..

كان جزء من واجبات (المعرفة) اليومية .. هو أخذ خمسة بلايين مجموعة حقائق عن الكائنات البشرية المستقلة ..

وتسجيل مقدماتها الأساسية ..

وتحديد القيم المتوقعة لها ..

لمدة يوم آخر ..

تنبؤ دقيق .. وعلمى .. واستشراف للمستقبل القريب .. والبعيد ..

وكانت كل إدارة تصحيح وتعديل على الأرض .. تتلقى البيانات الخاصة بمنطقتها .. المسئولة عنها ..

أما المعلومات الإجمالية .. فكانت تعرض فى سجل واحد كبير .. على المجلس المركزى للتصحيحات والتعديلات ..

وقراراته نهائية ..

ـ ١ ـ

كان المهندس (ناجى سيف) فى الأسبوع الرابع من توليه منصب رئيس المجلس المركزى .. لمدة عام واحد ..

وقد أصبح قليل الاكتراث بالمعلومات ..

لدرجة أنه يتقبل التقرير الصباحى .. دون أن يشعر بالخوف منه ..

وكان هذا التقرير عادة عبارة عن رزمة ضخمة من الأوراق ذات الخطوط الزرقاء .. يصل سمكها لنحو متر ..

ويدرك المهندس ناجى أنه ليس مفروضًا عليه أن يقرأ كل هذه الأوراق .. فأى إنسان لا يستطيع ذلك ..

وبالرغم من هذا .. فمن الممتع إلقاء نظرة عليها ..

كان التقرير يضم القائمة المعتادة من الجرائم المتوقعة ..

الاحتيالات بكل أنواعها .. أعمال السطو .. الشغب والقلاقل ..

المذابح وجرائم القتل .. حرق المبانى والممتلكات ..

بحث عن عنوان واحد معين ..

وشعر بصدمة خفيفة عندما وجده .

ثم أحس بصدمة أكبر عند رؤية عنوانين اثنين :

جريمتان من الدرجة الأولى .. !!

فهو لم ير جريمتين فى يوم واحد .. طوال فترة عمله .. رئيسًا للمجلس المركزى ..

ضغط على مقبض جهاز الاتصال الداخلى .. المتبادل ..

وانتظر ظهور الوجه الهادئ (شادى فوزى) .. على شاشة الجهاز :

ـ د. (شادى) .. توجد جريمتان من الدرجة الأولى اليوم .. فهل هناك أى مشكلة غير عادية ؟

رد عليه الوجه ذو البشرة السمراء .. والعينين السوداوين القلقتين :

ـ كلا ياسيدى .. فكلتا الحالتين احتمال حدوثهما منخفض جدًا ..

قال المهندس (ناجى) بتؤدة :

ـ أعرف ذلك .. لقد لاحظت أن احتمال حدوث أى منهما لا يزيد على نسبة ضئيلة .. ومع هذا فإن (المعرفة) قادر تمامًا على حفظه عند ذلك الحد .. لقد أزال تقريبًا الجريمة .. وهذا واضح من واقع التقارير اليومية .

هز د. (شادى) رأسه وقال :

ـ إننى مقتنع بذلك تمامًا ..

حدق المهندس (ناجى) فى الشاشة الصغيرة ثم قال بحدة :

ـ لا أريد أى جريمة من الدرجة الأولى .. تحدث فى أثناء مدة خدمتى .. وإلا فإننى لن أتركك بدون حساب .. هل فهمت ذلك جيدًا ؟

تريث د. (شادى) لعدة ثوان ..

ثم قال مؤكدًا :

ـ إن التحليلات الكاملة للجريمتين المحتملتين تتم حاليًا .. بمكاتب المنطقة المعنية .. والمجرمون والضحايا المحتملون .. تحت المراقبة الآن .. لقد راجعت بنفسى احتمالات حدوث الجريمتين .. ووجدت أنها تتناقص بالفعل ..

رد المهندس (ناجى) وهو ينهى الاتصال :

ـ أرجو هذا !

عاد إلى التقرير اليومى .. ولديه إحساس غير مريح .. بأنه ربما يكون واثقًا من نفسه ..

أكثر من اللازم ..

ولكن عندئذ يجب على المرء أن يكون حاسمًا مع أولئك العاملين المدنيين الدائمين .. وأن يتأكد من أنهم لا يعتقدون أنهم يسيّرون كل شىء ..

بما فى ذلك رئيس المجلس المركزى نفسه !

وخصوصًا د. (شادى) هذا .. الذى عمل مع (المعرفة) منذ سنوات عديدة ..

وله أسلوب يثير الغضب ..!

بالنسبة للمهندس (ناجى سيف) .. كان موضوع الجريمة هذا .. فرصة عمره السياسية ..

فحتى الوقت الحاضر ـ منتصف القرن الثانى والعشرين ـ لم يتم أى

رئيس للمجلس مدة رئاسته .. بدون حدوث جريمة ما .. فى مكان ما .. فى وقت ما ..

على سطح الكرة الأرضية ..

فالرئيس السابق انتهت مدة رئاسته بعد حدوث ثمان جرائم ..

بما يزيد بثلاثة جرائم على سجل الرئيس الذى سبقه ..

والآن .. فإن المهندس (ناجى) لا يريد حدوث أى جريمة ..

وقرر أنه سوف يكون أول رئيس للمجلس المركزى .. بدون جريمة واحدة .. تحدث فى أى وقت .. طوال مدة رئاسته ..

وبعد ذلك سوف تأتى الشهرة ..

وربما يعين فى المجلس الأعلى للعلماء ..

ذات يوم ..

★ ★ ★

مر المهندس (ناجى) بسرعة على بقية التقرير ..

وقدر أن عدد حالات مخالفات المرور المتوقعة لا يقل عن ألفين وخمسمائة ..

وبالطبع لا يمكن منع حدوثها جميعًا فى الوقت المناسب ..

ولعل نصفها سوف يحدث فعلًا ..

ولكن معدل الحدوث كان يقل ..

وكذلك معدل الاكتمال .. وبمعدل أسرع ..

وتضمنت القائمة بعض حالات تلف المعدات المتوقعة ..

وقد لاحظها المهندس (ناجى) جيدًا ..

أغلق د. (شادى) الوصلات الإلكترونية ..

وحدق فى الشاشة التى اختفى منها رأس المهندس (ناجى) الأصلع .. ذو الفكين البارزين .. والعينين الضيقتين الماكرتين ..

ثم نظر إلى مساعدته (لمياء الناصر) وقال :

ـ ماذا نفعل الآن ؟

أزاحت (لمياء) شعرها الفاحم الأسود عن عينيها وقالت وهى تبتسم :

ـ لا تسألنى ! إنه قلق بخصوص جريمة أو جريمتين حقيرتين .. هذا كل ما فى الأمر !

قال د. (شادى) مفكرًا :

ـ جهة ما .. تحاول أن تلقى المسئولية على عاتقنا ..

هزت (لمياء) رأسها .. ونظرت إليه بعينيها الزرقاوين اللامعتين وقالت :

ـ ومع ذلك فإن المشكلة فى ماذا يحدث لو فشلنا !

أطرق د. (شادى) قليلًا ثم قال :

ـ لو ضاعت منا الفرصة .. فمن الذى يهتم بما يحدث لنا ؟ إذ سوف نصبح جزءًا من الكارثة العامة !

ردت (لمياء) بلهجة أكثر عاطفية :

ـ إن الاحتمال نسبة مئوية ضئيلة .. لهذا يجب أن نترك الاحتمالات ترتفع قليلًا .. قبل اتخاذ أى تصرف مهما كان .. وبالإمكان عمل بعض التصحيحات التلقائية !

قال د. (شادى) بجفاء على الرغم منه :

ـ لا أستطيع أن أعتمد على ذلك .

نهضت (لمياء) بجسمها الرشيق .. وحيويتها الفياضة .. وتحركت فى الغرفة جيئة وذهابًا .. ثم قالت ببطء :

ـ أقترح أن نركز على الملاحظة الدقيقة فى الوقت الراهن .. إذ لا يوجد أحد يستطيع أن يخطط لجريمة من الدرجة الأولى بمفرده .. لابد من وجود شركاء له .

نظر إليها د. (شادى) للحظات ثم قال :

ـ إن (المعرفة) .. لم يذكر أى أسماء على الإطلاق ..

ساد صمت ثقيل فرض نفسه ..

ثم حدق الاثنان فى تفاصيل جريمة غريبة .. غير واردة بالقائمة التى قدمت للمهندس (ناجى) ..

وهى جريمة أبشع من القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد ..

ولم يسبق أن حدثت مثلها فى تاريخ كمبيوتر (المعرفة) كله ..

وتساءلا عما يمكنهما عمله ..

ـ ٢ ـ

كان (أشرف زكى) يعتبر نفسه .. أسعد شاب فى السادسة عشرة من العمر ..

ولو أن هذا الأمر مشكوك فيه .. إلى حد ما ..

بيد أنه كان بالتأكيد واحدًا من أسعد الشباب .. وأكثرهم حيوية .. فعلى

الأقل .. كان واحدا من حفنة من الشباب الذين سمح بدخولهم إلى ممرات الملعب الكبير ..

فى أثناء قيام شباب الثامنة عشرة بأداء التمرينات الرياضية السنوية ..

كان أخاه الأكبر (عادل) .. مشتركًا فى الألعاب السويدية ..

لذلك بحث والداه عن تذاكر المشاهدين ..

وسمحوا لـ(أشرف) بأن يفعل مثلهم ..

ولكن عندما اختار (المعرفة) واحدًا .. من بين المتقدمين لطلب تذكرة .. كان سعيد الحظ هو .. (أشرف زكى) ..

وبعد عامين سوف يشترك (أشرف) فى التمرينات الرياضية السنوية ..

ولكن مشاهدة أخيه الأكبر (عادل) .. كان أفضل شىء بالنسبة له .. فى الوقت الحاضر ..

★ ★ ★

ارتدى (أشرف) أفخر ثيابه ..

باعتباره ممثلًا عن الأسرة ..

وأرسل والداه معه .. رسالة طويلة لـ(عادل) .. الذى غادر المنزل منذ بضعة أيام ..

لإجراء الفحوصات الجسمانية .. والعصبية .. المبدئية عليه ..

كان الملعب الكبير فى ضواحى المدينة ..

واستطاع (أشرف) أن يجد مقعده .. بمساعدة أحد المرشدين ..

نظر إلى أسفل ..

ووجد صفوفًا .. فوق صفوف من آلاف شباب الثامنة عشرة :
الأولاد على اليمين .. والفتيات على اليسار ..
يرتدون جميعًا زيًا رياضيًا موحدًا ..
وجميعهم من أبناء هذه المدينة ..
وفى أوقات مختلفة من العام ..
كانت تجرى مباريات مماثلة فى جميع أرجاء العالم ..
تفحص (أشرف) رءوس الشباب .. معتقدًا أنه يمكنه بطريقة ما .. تمييز أخيه (عادل) .. وبالطبع لم ينجح فى ذلك ..
ثم جاء رجل متقدم فى السن .. على المنصة المرتفعة أمام جميع الحاضرين ..
قال فى كلمات متمهلة :
ـ صباح الخير أيها الشباب .. والضيوف الأعزاء .. أنا المسئول عن احتفالات المدينة هذا العام .. لقد قابلت البعض منكم فى أثناء إجراء الفحوصات الجسمانية والعصبية .. وأغلب العمل قد تم ويبقى أهم شىء .. شخصية كل منكم .. التى يجب أن تدخل فى سجلات كمبيوتر (المعرفة) ..
وفى كل عام يحتاج ذلك إلى بعض الشرح للشباب .. الذى وصل مرحلة البلوغ .. سن الثامنة عشرة ..
وقبل هذا العمر .. لا يصبح الأفراد مستقلين فى أعين (المعرفة) .. باستثناء التصنيف الذى قام به أولياء أموركم .. أو الجهات الحكومية ..
وحتى الوقت الحاضر .. عندما كان يحين وقت تحديث المعلومات ..

كان أولياء الأمور هم الذين يملئون البيانات الضرورية الخاصة بكم ..
أما الآن فقد جاء دوركم للقيام بذلك بأنفسكم ..
وهذا شرف كبير .. ولكنه فى الوقت نفسه ..مسؤولية خطيرة !
لقد أخبرنا أولياء أموركم عن المدارس التى التحقتم بها ..
والأمراض التى ألمت بكم ..
ومختلف عاداتكم .. وهواياتكم .. وكثير من أنشطتكم الأخرى ..
والآن .. عليكم أن تخبرونا بالمزيد من المعلومات ..
وبكل ما لديكم من أفكار وتصورات ..
وكل الأعمال التى قمتم بها فى الخفاء .. دون أن يراكم أحد ..
إن ذلك كله صعب بالطبع فى أول مرة .. ولكن يجب عمله ..
وبمجرد الانتهاء من ذلك .. سوف يقوم كمبيوتر (المعرفة) .. بإجراء تحليلات شاملة .. لمختلف بياناتكم .. وإثباتها فى سجلاته ..
وسوف يثبت جميع أفعالكم .. وردود أفعالكم ..
بل إنه يمكنه أن يتنبأ بدقة معقولة ..
ما هى أفعالكم وردود أفعالكم .. التى يمكن أن تحدث فى المستقبل ..
وبهذه الطريقة سوف يحميكم كمبيوتر (المعرفة) ..
فإذا كان ثمة خطر وقوع حادث لكم ..
فإن (المعرفة) سوف يتوقعه ..
وإذا خطط أى شخص لإلحاق ضرر بكم ..
فسوف يعرف ..

وإذا خططتم أنتم لإحداث ضرر ، فسوف يمنعكم فى الوقت المناسب ..
ومن ثم لن يكون هناك داع .. لمعاقبتكم ..
ومن خلال تخزين (المعرفة) .. لكل شىء عنكم .. فإنه يساعد العالم على تعديل اقتصاده .. وقوانينه .. لصالح الجميع ..
وإذا كان لدى أى منكم مشكلة شخصية ..
يمكنه إبلاغ (المعرفة) بها .. حتى يتمكن من مساعدته .
والآن ـ قبل المباريات الرياضية ـ لديكم إستمارات كثيرة ..
لملء بياناتها ..
فكروا جيدًا .. وأجيبوا عن كل الأسئلة .. بأقصى ما يمكنكم من الدقة ..
لا يجب أن تترددوا بسبب الخجل أو الحذر ..
فلن يعرف أى إنسان إجاباتكم .
فيما عدا كمبيوتر (المعرفة) نفسه !
ما لم يكن من الضرورى تحليل إجاباتكم ..
لتوفير الحماية لكم ..
وفى هذه الحالة .. لا يسمح بذلك إلا للمسئولين الحكوميين المعتمدين ..
وقد يخطر ببالكم مط الحقائق قليلًا .. هنا أو هناك ..
فلا تفعلوا ذلك ..
أن تجميع كل إجاباتكم يشكل نمطًا .. ونموذجًا عامًا ..

فإذا كانت بعض الإجابات خاطئة ..
فإنها لن تدخل فى هذا الإطار ..
وسوف يكتشفها كمبيوتر (المعرفة) ..
أما إذا كانت كل إجاباتكم خاطئة ..
فسوف يتكون نمط ونموذج عام .. مشوه ..
من نوع يسهل على (المعرفة) .. اكتشافه ..
لذلك يجب أن تذكروا الحقيقة .. المجردة ..

★ ★ ★

وأخيرًا إنتهت الكلمة الإفتتاحية ..
وبدأت عملية ملء الاستمارات .. والمراسم .. والخطب التالية ..
ثم المباريات الرياضية ..
وأخيرًا تمكن (أشرف) فى المساء .. وهو واقف على أطراف أصابعه .. من معرفة مكان أخيه (عادل) ..
حيا أحدهما الآخر فى بهجة ..
اشتركا فى تناول عشاء خفيف .. ثم استقلا القطار السريع ..
عائدين إلى منزلهما ..
وهما فى نشوة وحبور .. من عظمة هذا اليوم ..
وعلى ذلك لم يكونا جاهزين للانتقال المفاجئ ..
إلى الجو الحزين .. داخل منزلهما ..
كانت صدمة كبيرة لكليهما .. أن يوقفهما شاب ذو وجه جامد .. يرتدى زيًا رسميًا .. عليه شعار كمبيوتر (المعرفة) .

لفحص أوراقهما .. قبيل دخولهما .. إلى منزلهما .. !
وجدا والديهما .. جالسين .. بائسين .. فى غرفة الجلوس ..
وعليهما مظهر مأساوى ..
نظر (زكى فخرى) ـ الذى كان يبدو أكبر سنًا عمًا كان عليه فى الصباح ـ بعينيه الحائرتين .. الغائرتين ..
إلى ابنيه (عادل) و(أشرف) ..
وقال لهما بصوت مفعم باليأس :
ـ يبدو أننى مسجون فى هذا المنزل !

ـ ٣ ـ

لم يتمكن المهندس (ناجى) من قراءة تقرير كمبيوتر (المعرفة) كله ..
واكتفى بقراءة الملخص ..

وكان ذلك مرضيًا بالنسبة له ..
وأدرك أن جيلًا كاملًا من الناس .. قد شب واعتاد على حقيقة أن (المعرفة) يمكنه أن يتنبأ بارتكاب الجرائم الكبرى ..
كانوا يعرفون أن مسئولى التصحيحات والتعديلات .. سوف يظهرون على مسرح الأحداث .. قبيل ارتكاب الجريمة ..

وأن إتمام الجريمة يؤدى بالضرورة إلى التعرض للعقوبة ..
وتدريجيًا أصبحوا مقتنعين .. بأمر واحد ..
أن أى إنسان لا يمكنه .. بأية طريقة ..
التفوق على كمبيوتر (المعرفة) ..
وبالطبع ترتب على ذلك .. أن الرغبة فى الجريمة قد هبطت ..
ومن ثم تعاظمت قدرة (المعرفة) ..
وأصبح من الممكن إدراج الجرائم الصغيرة ..
فى القائمة التى يتنبأ بها كمبيوتر (المعرفة) ..
كل يوم .. صباحًا ..
وانخفض معدل حدوث هذه الجرائم .. بشكل ملحوظ ..

★ ★ ★

طلب المهندس (ناجى) من المبرمجين .. إصدار أوامر لكمبيوتر (المعرفة) .. بعمل تحليل بخصوص موضوع التنبؤ باحتمالات حدوث الأمراض .. لكل فرد .. وهكذا .. ينتبه الأطباء بمختلف تخصصاتهم .. للمرضى الذين قد يصابون بالبول السكرى فى خلال العام التالى ..
أو الإصابة بالسل .. أو السرطان .. أو الإيدز ..
فالوقاية خير من العلاج ..
وأصبح تقرير (المعرفة) .. تقريرًا مناسبًا .. ومفيدًا ..
فى اليوم التالى :
وصلت قائمة الجرائم الممكنة .. وكانت خالية من أى جريمة قتل .. مع سبق الإصرار والترصد ..

أجرى المهندس (ناجى) اتصالًا داخليًا مع د. (شادى) .. اتسم بالدعابة والمرح ..

وقال له :

ـ ما هو حال أعداد الجرائم فى القوائم اليومية ؟

ابتسم د. (شادى) وقال :

ـ انخفضت بنسبة ٧و٩ ٪ ..

أسعدت هذه الإجابة المهندس (ناجى) بالفعل ..

وأغلق الاتصال المرئى ..

★ ★ ★

هز د. (شادى) كتفيه وقال :

ـ إنه سعيد !

قالت (لمياء) فى اهتمام :

ـ متى يمكننا إزالة هذا الوهم ؟

تساءل د. (شادى) .. بصوت خشن شبه أجوف :

ـ أتقصدين (زكى فخرى) ؟

قالت (لمياء) وهى ترفع قامتها :

ـ أجل .. إن وضعه تحت الملاحظة .. زاد من احتمالات المرض .. كما أن حبسه فى منزله .. زاد هذا الاحتمال مرة أخرى ..

رد د. (شادى) متبرمًا :

ـ لا أدرى لماذا سُجن فى منزله ؟

تأملته برهة ثم قالت :

ـ للتعرف على الشركاء فى الجريمة .. إن وجود (زكى فخرى) فى مشكلة .. يعنى أن البقية إما أن يعملوا فورًا .. أو يصرفوا النظر عن الجريمة .. تمامًا ..

تريث د. (شادى) للحظات قبل أن يقول :

ـ وهكذا يمكن القبض عليهم .. ومعاقبتهم ..

تساءلت (لمياء) وهى ترفع حاجبيها :

ـ ولكن لماذا لا يحدد (المعرفة) .. أسماء الشركاء فى الجريمة ؟

كان هذا بالطبع أمرًا غريبًا ..

ولهذا لم يستطع د. (شادى) أن يجيبها ..

ـ ٤ ـ

قالت السيدة (كوثر) زوجة (زكى فخرى) .. لابنها (أشرف) :

ـ اذهب إلى حجرتك ..

سألها (أشرف) .. وصوته متهدج .. لهذه النهاية الغريبة .. ليوم رائع :

ـ ما الذى يحدث يا أمى ؟

نظرت إليه بحدة .. فغادر الحجرة وهو كاره ..

مر من الباب إلى السلم .. الذى صعد عليه فى صخب ..

ثم لم يلبث أن هبط فى هدوء .. إلى حجرته ..

أما (عادل) الابن الأكبر .. الذى بلغ سن الرشد اليوم .. أمل الأسرة .. فقد قال فى صوت هادئ .. ولكن بنبرات مهتزة :

ـ ما معنى هذا كله ؟

قال (زكى فخرى) بصوت مفعم بالحزن :

ـ أؤكد لك يا ابنى .. أننى لا أدرى .. فلم أفعل شيئًا مطلقًا !

نظر (عادل) إلى والده .. النحيف .. القصير القامة .. الهادئ الطبع .. وقال بحنان :

ـ بالطبع يا أبى .. أنت لم تفعل شيئًا .. لابد أنهم هنا لأنك تفكر فى عمل شىء ما .. أجابه والده بسرعة :

ـ أبدًا .. أنا لا أفكر فى عمل أى شىء .. ضد القانون ..

انفجرت السيدة (كوثر) غاضبة :

ـ ما الذى يخطط والدك لفعله .. بما يستدعى وجود عدد من رجال (المعرفة) .. حول المنزل .. يحاصرونه ؟

قال (زكى فخرى) .. وعيناه ممتلئتان بالأسى والألم :

ـ أنا لا أخطط لأى جريمة .. كبيرة أو صغيرة .. وأقسم على ذلك ..

رد (عادل) .. وهو ممتلئ بعقل وحكمة البالغ سن الرشد حديثًا :

ـ ربما فى اللاشعور يا أبى .. مثلًا بعض النفور من رئيسك فى العمل ..

تساءل (زكى فخرى) فى دهشة بالغة :

ـ لدرجة أننى أريد أن أقتله ؟! بالطبع لا ..

تهالك (عادل) فوق مقعد وثير .. وقال بصوت مفعم باليأس :

ـ ألن يخبروك عن حقيقة الأمر يا أبى ؟

عض الأب شفته السفلى قائلًا :

ـ لا أدرى يا ابنى !

تدخلت والدته فى الحديث قائلة :

ـ لا .. لن يفعلوا .. لقد سألناهم .. قلت لهم إنهم يدمرون مركزنا الاجتماعى فى هذه المنطقة .. وأقل ما يمكن عمله هو إخبارنا بحقيقة الأمر .. بحيث نستطيع مواجهته وشرح وجهة نظرنا .. والدفاع عن أنفسنا .. ولم يفعلوا شيئا ..

وقف (عادل) ورجلاه متباعدتان عن بعضهما ..

ويداه غاطستان فى جيبه ..

ثم قال فى ضيق :

ـ لا أظن يا أمى .. أن كمبيوتر (المعرفة) .. يرتكب أى خطأ !

ضرب والده ذراع الأريكة بقبضته فى يأس .. وصاح :

ـ أؤكد لك .. بأننى لا أخطط لأى جريمة ..

* * *

فتح الباب الخارجى ..

دون أن يدق عليه شخص ما ..

ودخل رجل يرتدى زيًا رسميا .. عليه شعار كمبيوتر (المعرفة) ..

وسار فى خطوات واسعة محددة ..

وكان يبدو على ملامحه الشكل الرسمى الجاف .. قال :

ـ هل أنت (زكى فخرى) ؟

وقف (زكى) متثاقلًا وقال :

ـ أجل .. ماذا تريد منى ؟

جاءت الكلمات واضحة .. قاطعة :

- (زكى فخرى) .. إننى ألقى القبض عليك !

وأظهر ببرود .. بطاقة هويته المعدنية .. كأحد المسئولين عن التصحيح والتعديل ..

ثم أردف بحدة :

- إننى أطلب منك أن تأتى معى ..

قال (زكى فخرى) بصوت متهدج :

- لأى سبب ؟ ما الذى فعلته ؟

رد عليه المسئول بلهجة جامدة :

- لست مخولا لمناقشة ذلك .

تساءل (زكى) فى يأس :

- ولكن لا يمكن أن يقبض علىّ .. لمجرد التخطيط لجريمة .. حتى لو قمت بذلك فعلا ..

يجب أن أكون قد ارتكبت جريمة ما .. وبخلاف ذلك لا يحق لكم القبض علىّ .. إن ذلك مخالف للقانون .

كان المسئول جافا .. وغير متقبل للمنطق .. قال :

- عليك أن تأتى معى ..

صاحت زوجته وتهالكت على الأريكة ..

وهى تبكى بحرقة ..

ولم يكن (زكى فخرى) ليخالف النظام أو القانون الذى نفذه طوال حياته ..

وذلك بمقاومة مسئول حكومى ..

ولكنه تقهقر إلى الوراء ..

مجبرًا مسئول التصحيح والتعديل .. على استخدام القوة .. لجره إلى الخارج ..

★ ★ ★

كان (زكى فخرى) يصيح فيه وهما يخرجان :

- أخبرنى ما معنى هذا ؟ .. قل لى فقط .. هل هى جريمة قتل ؟.. هل المفروض أننى أخطط لجريمة قتل ؟!

أغلق الباب خلفهما ..

وعندئذ وقف (عادل) .. ووجهه شاحب .. ولا يشعر إطلاقا أنه قد بلغ سن الرشد ..

أخذ يحدق فى الباب .. ثم جلس بجانب أمه المنتحبة .. يواسيها ..

أما (أشرف) الواقف خلف الباب ..

فقد زم شفتيه على بعضهما ..

وشعر فجأة أنه يعرف تمامًا ما الذى سوف يفعله ..

إذا كان كمبيوتر (المعرفة) .. يمكنه أن « يأخذ » ..

فبوسعه أيضًا أن « يعطى » ..

نعم .. إن أى شخص عادى يمكنه أن يطلب مساعدة كمبيوتر (المعرفة) ..

ولم يكن بوسع والدة (أشرف) أو أخيه ..

أن يمنعاه من ذلك الآن ..

كان معه بعض المال المتبقى من المبلغ الذى أعطوه له .. هذا الصباح ..

فإذا عرفا بعد ذلك أنه ذهب لكمبيوتر (المعرفة) .. وقلقا عليه .. فإنهما لن يستطيعا له شيئا ..

نعم .. لابد من عمل ما ..

فانتماؤه الأول يجب أن يكون لوالده ..

ركض من الباب الخلفى للمنزل ..

وألقى المسئول الواقف فى الخارج .. نظرة على هويته .. وتركه يخرج .. وهو لا يعلم أن (أشرف زكى) .. سوف يذهب إلى كمبيوتر (المعرفة) ..

فى مواجهة .. لا يعلم أحد .. مداها ..

- ٥ -

كان (مختار راشد) مسئولا عن قسم الشكاوى .. لفرع كمبيوتر (المعرفة) فى المدينة ...

واعتبر نفسه عضوا فى هذا الفرع من الخدمة المدنية ..

الذى تفوق أهميته أى نشاط آخر ..

وبشكل ما .. فقد كان محقًا ..

وأولئك الذين سمعوه يناقش هذا الأمر ..

اعتقدوا أنه ذو أعصاب فولانية ..

بحيث لا يتأثر قط !

فمن ناحية - كما يقول (مختار راشد) - كان كمبيوتر (المعرفة) .. أساسًا مبدئا للسرية والخصوصية ..

ففى غضون الخمسين عامًا الماضية ..

كان على البشرية أن تعترف ..

أن أفكارها ونبضها .. لم تعد سرًا ..

وأنه ليس لديها مخابئ داخلية ..

يمكن أن تخفى فيها أية معلومات ..

وبالطبع حققت البشرية الرخاء والأمن والأمان .

فى القرن الثانى والعشرين ..

ولكن من الناحية النظرية المجردة ..

واحتاج كل رجل وامرأة .. إلى الأمور الشخصية كمكافأة ..

فقد كان فى كل مكان .. محطة لكمبيوتر (المعرفة) ..

بها دوائر إلكترونية متكاملة ..

تعمل بالرقاقات البيولوجية ..

التى يدخل البروتين فى تركيبها ..

لكى يلقى إليها كل إنسان .. مشاكله .. وأسئلته ..

بدون أى سيطرة أو إعاقة ..

ويحصل منها فى خلال بضع دقائق ..

على ما يريده من إجابات ..

وفى أى لحظة هناك خمسة ملايين دائرة إلكترونية خاصة ..

متاحة لاستخدامها .. فى برنامج الأسئلة والإجابات هذا .

ولا تكون الردود دائمًا قاطعة ..

ولكنها كانت عادة .. أفضل المتاح ..

وكل من يسأل .. يعرف أن إجابة كمبيوتر (المعرفة) ..

هى أكمل ما هو موجود ..
فيؤمن بها ..
وكان هذا هو المهم ..

* * *

تحرك (أشرف) ببطء ..
فى طابور الانتظار الذى يضم الرجال والنساء ..
كل منهم ينتابه خليط من الرجاء والخوف ..
القلق والأمل ..
ودائما يتغلب الرجاء والأمل .. كلما اقترب الشخص من كمبيوتر (المعرفة) .. أكثر فأكثر ..
أخذ (مختار راشد) الاستمارة المكتملة بياناتها من (أشرف) .. دون أن ينظر إليه .. وقال :
ـ حجرة ـ س
تردد (أشرف) ثم قال فى همس :
ـ كيف ألقى بسؤالى ياسيدى ؟
نظر (مختار) إليه بدهشة .. ثم قال له برقة :
ـ هل فعلت ذلك من قبل ؟
قال (أشرف) فى تردد :
ـ لا ياسيدى .. هذه أول مرة ..
أشار (مختار) إلى نماذج صفراء موجودة على منضدة قريبة .. وقال :

ـ استخدم أحدها .. لا تحاول أن تكتب البيانات بيدك .. وإنما استخدم هذه الآلة الرمادية .. وإذا احتجت إلى مساعدة .. اضغط على الزر الأحمر .. وسيأتى إليك شخص ما .. والآن .. سر فى هذا الممر على اليمين . تجد الحجرة ١٠ ـ س ..
راقب (مختار) الشاب اليافع .. وهو يسير بخطوات بطيئة .. متهيبة .. فى الممر الطويل .. حتى اختفى عن ناظريه .. ثم ابتسم ..
إذ لم يطرد كمبيوتر (المعرفة) أحدا .. مطلقا .. أو يرفض طلبه ..
كان هناك دائما نسبة مئوية معينة من الأمور التافهة ..
مثل الأشخاص الذين يطرحون أسئلة شخصية عن جيرانهم ..
أو يلقون بتساؤلات محرجة عن شخصيات بارزة .. أو شباب يحاولون تحدى (المعرفة) .. ببعض الألغاز .. والمتناقضات العجيبة ..
كان بوسع كمبيوتر (المعرفة) .. مواجهة كل هذا ..
بدون أى مساعدة ..
وعلاوة على ذلك .. يسجل السؤال وإجابته فى بطاقة البيانات والحقائق الخاصة بكل شخص ..
حتى الأسئلة التافهة .. والتى لا طائل تحتها ..
طالما أنها تعكس شخصية من يسأل ..
كانت تساعد البشرية .. من خلال مساعدة (المعرفة) ..
على فهم كل إنسان ..
وجه (مختار راشد) اهتمامه للشخص التالى فى الطابور الطويل ..
امرأة فى منتصف العمر .. نحيلة الجسم بارزة العظام ..

يبدو من النظرات القلقة فى عينيها الخضراوين ..
أنها تعانى متاعب جمة ..

ـ ٦ ـ

تحرك د. (شادى) بخطوات واسعة .. بطول غرفة مكتبه .
وكعباه يحفران آثارًا فى البساط السميك ..
قال وهو يقطب جبينه :
ـ الاحتمال ما زال يرتفع .. وقد قبضنا بالفعل على (زكى فخرى) ..
وأخذ العرق يتصبب من كل وجهه ..
ابتعدت (لمياء) عن الهاتف المرنى .. وهى تقول :
ـ لم يعترف بعد! وحالته النفسية سيئة .. ولا يوجد أى دليل على الجريمة .. ربما يقول الحقيقة ..
دق اتصال هاتفى آخر ..
أغلق د. (شادى) الوصلات الإلكترونية بسرعة ..
ظهر على الشاشة الصغيرة وجه أحد مساعديه .. قال :
ـ هل هناك أية تعليمات أخرى ياسيدى .. بخصوص أسرة (زكى فخرى) ؟
أيسمح لهم بالحضور والذهاب كما حدث ؟
تساءل د.(شادى) فى دهشة :
ـ ماذا تقصد بقولك .. كما حدث ؟
رد المساعد ببطء .. ينتقى كل كلمة :

ـ كانت التعليمات الأصلية .. اعتقال (زكى فخرى) فى منزله .. ولم يذكر شىء عن باقى أسرته !
قال د. (شادى) بسرعة :
ـ إذن .. ليشمل ذلك بقية الأسرة .. ما لم تصلك تعليمات بخلاف ذلك ..
تردد المساعد للحظات ثم قال .
ـ إن الأم والابن الأكبر يطلبان معلومات عن الابن الأصغر الذى اختفى .. ويزعمان أنه تحت التحفظ !
قطب د. (شادى) حاجبيه وقال هامسًا :
ـ الابن الأصغر ! كم عمره ؟
قال المساعد :
ـ ستة عشر عامًا .
صاح د. (شادى) :
ـ ستة عشر عامًا ! ألا تعرف أين ذهب ؟
ـ لقد سمح له بالانصراف ياسيدى .. لم تكن هناك تعليمات لحجزه !
أدرك د. (شادى) .. أنه لم يكن من المفيد .. حدوث أى نوبة من الغضب .. أمام مساعده ..
مهما كانت أهميتها فى تهدئة أعصابه ..
قال فى هدوء :
ـ لا تغلق الخط .. ولا تتحرك من مكانك .
علق د. (شادى) الخط ..
وأمسك بشعره بكلتا يديه ..

وصرخ قائلًا :

ـ أغبياء .. أغبياء ..

دهشت (لمياء) .. اقتربت منه وقال :

ـ ما الذى حدث ؟

إنفجر د. (شادى) قائلًا :

ـ (زكى فخرى) له ابن فى السادسة عشرة من عمره .. أى لم يبلغ سن الرشد بعد .. ولهذا فليس له ملف مستقل فى الذاكرة الإلكترونية المركزية لكمبيوتر (المعرفة) .. وإنما هو ملحق بملف والده ..

حدق فى لمياء للحظات ثم استطرد قائلًا :

ـ .. ألا يعلم كل شخص أنه حتى الثامنة عشرة .. فإن أى إنسان لا يفتح له ملف مستقل لدى (المعرفة) .. وأن ولى أمره يفعل ذلك من أجله ؟

قالت (لمياء) وهى ساهمة :

ـ هل تعنى أن كمبيوتر (المعرفة) .. لم يقصد (زكى فخرى) ؟

مضت لحظات خاطفة .. تملكه فيها الذهول .. قال بصوت مهتز :

ـ أجل .. (المعرفة) يقصد الابن الأصغر (أشرف) !.. وهو هارب الآن .. فى وجود عدد من مسئولى التصحيح والتعديل .. حول المنزل ..

إندفع د. (شادى) فجأة تجاه الهاتف المرئى ..

وقد أعطته دقيقتا التوقف .. الوقت الكافى لاستجماع شتات نفسه .. وتمالك أعصابه ..

قال فى هدوء :

ـ أيها المساعد .. حدد مكان الابن الأصغر الذى اختفى .. وخذ كل

رجل أمن لديك إذا لزم الأمر .. وسوف أعطى أوامرى فى هذا الشأن .. يجب أن تجد هذا الفتى .. مهما كلفك الأمر ..

رد المساعد فى جد :

ـ نعم ياسيدى .

وانتهى الاتصال الهاتفى المرئى .

قال د. (شادى) بصوت مفعم بالقلق :

ـ أعطنى خلاصة ثانية للاحتمالات ..

بعد دقيقة واحدة .. أجابته (لمياء) وهى تنظر إليه :

ـ انخفضت النسبة ..

أخذ د. (شادى) نفسًا طويلًا .. قائلًا :

ـ بدأنا أخيرًا .. نسير فى الطريق الصحيح .. وأرجو أن نقبض على الفتى ..

فى أسرع وقت ممكن ..

ـ ٧ ـ

جلس (أشرف) وحيدًا فى الحجرة ١٠ ـ س .. وسجل ببطء ما يلى :

ـ اسمى (أشرف زكى فخرى) .. رقم ب ت س٩٩١١١٠١٠ .. قبض على والدى .. ولكننا لا ندرى ما هى الجريمة التى يخطط لها .. هل هناك أى طريقة يمكننا أن نساعده بها ؟

انتظر فى قلق ..

وبالرغم من أنه كان فى السادسة عشرة من عمره ..

إلا أنه أدرك أن كلماته هذه .. تندفع بسرعة الضوء ..

إلى داخل أعقد كيان إلكترونى صنعه الإنسان .. فى تاريخه الطويل ..

وأن بلايين الحقائق تمتزج .. وتندمج .. فى كل واحد ..

ومنه يمكن لكمبيوتر (المعرفة) .. التوصل إلى أفضل طريقة للمساعدة .. المرجوة ..

صدر صوت مميز من الآلة ..

وخرجت من أحد الفتحات .. بطاقة .. عليها إجابة طويلة :

ـ خذ القطار السريع إلى العاصمة فورا .. انزل فى محطة طريق الحرية .. وسوف تجد مخرجا يسمى (المعرفة ٦٢٥) .. وعليه حارس .. أخبره أنك رسول خاص إلى د. (سمير ذهنى) .. وسوف يسمح لك بالدخول .. ستجد نفسك فى ممر طويل معدنى .. سر فى الممر حتى تصل

إلى باب مكتوب عليه (المدخل ٧١٢) .. ادخل .. وقل لرجل الأمن الموجود هناك :

ـ رسالة إلى د. (سمير ذهنى) ..

وسوف يسمح لك بالمرور .. هيا بسرعة ..

★ ★ ★

واستمرت الإجابة على هذا النمط ..

لم ير (أشرف) الطلب الخاص بسؤاله ..

ولكن كانت ثقته فى (المعرفة) لا حدود لها ..

غادر المكان على الفور ..

متجها إلى القطار السريع ..

تتبع مسئول التصحيحات والتعديلات .. (أشرف زكى) إلى فرع (المعرفة) .. فى المدينة ..

بعد ساعة من رحيله ..

وجد (مختار راشد) نفسه .. مشدوها من عدد وأهمية الرجال .. الذين شاركوا فى البحث عن الفتى ذى الستة عشر عاما !

قال بصوت مرتعد :

ـ لا أعرف أين ذهب الفتى .. بعد أن فرغ من مهمته هنا .. ولم أكن أعرف أن أحدا .. يبحث عنه .. ونحن نقبل كل القادمين هنا .. بحسب التعليمات ..

قال له المسئول بحدة :

ـ هل يمكننا الحصول على تسجيل أسئلة وإجابات عليها ؟

رد (مختار) بسرعة :

ـ أجل .. فورًا ..

بعد عدة دقائق .. كانت كل المعلومات قد وصلت إلى د. (شادى) .. التى تهدجت أنفاسه .. ودارت عيناه .. ثم انهار تمامًا ..

وبعد أن أفاق من الصدمة .. قال لـ(لمياء) فى ضعف :

ـ أرجوك .. أصدرى أوامرك بالقبض على الفتى فورًا .. وأحضرى لى نسخة من إجابات (المعرفة) على أسئلته ..

تريث للحظات ثم أردف :

ـ لا مفر .. يجب أن أقابل المهندس (ناجى) .. الآن ..

★ ★ ★

لم ير المهندس (ناجى سيف) مساعده د. (شادى) مضطربًا هكذا من قبل .. وبعد أن شاهد عينيه التائهتين .

سرت رعدة فى جسده .. وبدا وجهه شاحبًا ..

غمغم قائلًا :

ـ ماذا تعنى يا د. (شادى) ؟ ماذا تقصد بقولك أسوأ من القتل ؟

صمت للحظات ليلتقط أنفاسه ثم أردف بصوت خفيض :

ـ هل تقصد اغتيال أحد كبار المسئولين ؟

قال د. (شادى) فى همس مروّع :

ـ ربما أكثر من ذلك .. إننا أمام خطة لاغتيال كمبيوتر (المعرفة) !!

رد المهندس (ناجى) بفزع متزايد :

ـ ماذا ؟!

بدا التوتر فى صوت د. (شادى) وهو يقول :

ـ لأول مرة فى تاريخ (المعرفة) .. خرج علينا الكمبيوتر بتقرير يفيد .. أنه هو نفسه فى خطر !

صرخ المهندس (ناجى) وجسمه كله يهتز :

ـ لماذا لم أخطر بذلك على الفور ؟

أطرق د. (شادى) قليلًا ثم قال وهو يتحاشى النظر فى عينى المهندس (ناجى) :

ـ إن هذا لم يحدث قط من قبل يا سيدى .. ولقد بحثنا الموقف من كل جوانبه . أولًا .. قبل أن نجرؤ على وضعه فى السجلات الرسمية !

قال المهندس (ناجى) بلهفة وقلق :

ـ ولكننا بالطبع أنقذنا (المعرفة) .. أليس كذلك ؟

رد د. (شادى) بصوت خافت :

ـ احتمالات الضرر تناقصت إلى أقل من ٠.٥٪ .. إننى فى انتظار التقرير الآن !

ـ ٨ ـ

نظر (أشرف) إلى الرجل النحيف الجالس على المقعد العالى .. الذى يعمل بعناية على ما يبدو أنه جهاز إلكترونى ذو أزرار عديدة .. وله أذرع تشغيل ضخمة ..

قال (أشرف) بنبرات ثابتة :

ـ رسالة إلى د. (سمير ذهنى) ..

رد الرجل بصوت أجش :

ـ أنا هو .. تقدم إلى الأمام ..

نظر (أشرف) إلى التعليمات التى قدمها له كمبيوتر (المعرفة) ..

واقترب من ذراع تحكم دقيق ذى لون أزرق داكن ..

كان عليه أن يجذبها لأسفل ..

فى اللحظة التى تضىء فيها .. وسيلة بيان خاصة ..

بضوء أحمر قان ..

سمع صوتا مرتفعا وراءه .. ثم صوتا آخر ..

وما لبث رجلان .. أن أمسكاه من المرفقين ..

وشعر (أشرف) بأنهما يرفعانه .. من على الأرض ..

قال له أحد الرجلين بحدة بالغة :

ـ تعال معنا أيها الفتى .. أنت مقبوض عليك !

★ ★ ★

لم يبتهج د. (شادى) كثيرًا بالأخبار ..

التى جاءت إليه عبر الهاتف المرئى ..

برغم أن المهندس (ناجى) .. قال له بارتياح كبير :

ـ لقد أمسكنا بالفتى .. إذن فكمبيوتر (المعرفة) فى أمان الآن ..

ثم أمسك جبهته بيده المرتعشة وقال فى همس :

ـ .. يا لها من نصف ساعة تلك التى مرت علىّ هل تتخيل ما الذى يعنيه تدمير كمبيوتر (المعرفة) .. ولو لفترة زمنية قصيرة .؟ ستنهار النظم السياسية ويتدهور الاقتصاد العالمى .. وتتسع دائرة الخراب ..

قال د. (شادى) بتردد :

ـ لم يكن هذا الفتى (أشرف زكى) ينوى إحداث أى ضرر .. ويجب إطلاق سراحه هو وأسرته .. وإعطاؤهم تعويضًا للحبس الخطأ الذى تعرضوا له .. لقد كان ينفذ تعليمات كمبيوتر (المعرفة) .. لمساعدة والده !

نظر إليه المهندس (ناجى) بدهشة بالغة ثم قال بسرعة :

ـ هل تعنى أن كمبيوتر (المعرفة) .. أمر (أشرف) بجذب ذراع التحكم .. لإتلاف بعض الدوائر الإلكترونية التى تحتاج لإصلاح يستغرق بضعة شهور ؟

تريث للحظات ثم استطرد متسائلًا :

ـ .. أتقصد أن (المعرفة) يوص بإتلاف أجزاء منه .. لإنقاذ (زكى فخرى) ؟!

قال د. (شادى) متهيبًا :

ـ إن الأمر أسوأ من ذلك يا سيدى ..

ردد المهندس (ناجى) الكلمات نفسها فى همس :

ـ الأمر أسوأ من ذلك !!

أطرق د. (شادى) برأسه إلى الأرض لثوان ثم أردف قائلًا :

ـ إن كمبيوتر (المعرفة) لم يعط هذه التعليمات فحسب .. بل إنه اختار أيضًا أسرة (زكى فخرى) بالذات . لأن (أشرف) يشبه تمامًا أحد مساعدى د. (سمير ذهنى) .. بحيث يمكنه الدخول إلى الفرع الرئيسى للمعرفة .. دون أن يوقفه أحد .

تساءل المهندس (ناجى) :

ـ ماذا تعنى أنه اختار أسرة (زكى فخرى) ؟

شرح د. (شادى) الأمر :

ـ إن (أشرف زكى) لم يكن ليذهب لإلقاء سؤاله .. ما لم يقبض على والده .. ووالده لم يكن ليقبض عليه ما لم يوص (المعرفة) بذلك .. إن تصرف (المعرفة) نفسه .. هو الذى بدأ سلسلة الأحداث التى كادت تؤدى إلى تدميره ..

قال المهندس (ناجى) مدافعًا :

ـ هذا كلام بلا معنى ..

وشعر بضآلة .. وقلة حيلة ..

أمام خبرة .. وثقة د. (شادى) .. الذى قضى عمره كله تقريبًا .. مع كمبيوتر (المعرفة) ..

قال د. (شادى) مؤكدًا :

ـ إن هذه أول محاولة من نوعها يقوم بها كمبيوتر (المعرفة) .. وبشكل ما .. فقد خطط جيدًا .. اختار الأسرة الصحيحة .. وأصدر تعليمات محددة .. بهدف تدميره الذاتى .. وكل ما أخشاه أن يتعمد الكمبيوتر إخفاء بعض الحقائق .. وعدم تسجيل بعضها الآخر .. ومن الآن فصاعدًا فإن أى تعليمات يصدرها سوف تحمل داخلها بذرة تدميره الذاتى .. ولن نعرف ذلك مطلقًا .. ومهما كانت درجة براعتنا فسوف ينجح (المعرفة) أخيرًا ..

قرع المهندس (ناجى) مكتبه فى غضب قائلًا :

ـ لماذا ؟ ألا يمكن إصلاحه ؟

قال د. (شادى) فى يأس :

ـ لا أظن ذلك .. لقد أصبح كمبيوتر (المعرفة) معقدًا جدًا .. ولم تعد ردود فعله مثل آلة .. ولكن آلة فائقة !

ـ هل جننت ؟!

تريث د. (شادى) للحظات ثم قال :

ـ صدقنى .. لقد استمر بنا الحال طوال خمسين عامًا وأكثر .. فى وضع متاعب الإنسانية على كاهل (المعرفة) .. كل هموم البشر .. وسألناه أن يهتم بنا كمجموعة وأفراد .. وطلبنا منه أن يحتفظ بجميع أسرارنا .. أن يمتص شرورنا ويحمينا منها .. كل إنسان يطرح عليه متاعبه .. ومشاكله .. فيزيد الحمل الذى كتف هذه الآلة الفائقة .. والآن نحن نخطط لتحميل عبء أمراض الإنسان أيضًا .. على (المعرفة) !

توقف د. (شادى) قليلًا ثم انفجر قائلًا :

ـ .. سيدى .. إن كمبيوتر (المعرفة) .. يتحمل مختلف مشاكل العالم على كتفيه .. وقد ناء وتعب من حمله هذا !!

غمغم المهندس (ناجى) :

ـ إن هذا جنون .. جنون مطبق ..

اعتدل د. (شادى) فى مقعده وقال :

ـ إذن دعنى أريك شيئًا ما .. دعنى أعرّضه لاختبار معين .. هل تسمح لى باستخدام الخط المباشر الموصل إلى وحدة التخزين المركزية لـ(لمعرفة) .. والموجود هنا فى مكتبك ؟

تساءل المهندس (ناجى) فى دهشة :

ـ لماذا ؟

اعتدل د. (شادى) فى مقعده ثم قال :

ـ لكى ألقى على (المعرفة) سؤالًا .. لم يوجهه إليه أحد من قبل !

سأله المهندس (ناجى) محذرًا :

ـ هل سوف تسبب له أى ضرر ؟

نهض د. (شادى) وهو يقول :

ـ لا .. ولكنه سوف يخبرنا بما نريد معرفته ..

تردد المهندس (ناجى) هنيهة ثم قال :

ـ هيا نفذ ما تريد ..

استخدم د. (شادى) الجهاز الرمادى الذى على يمين مكتب المهندس (ناجى) .. وهو الوحيد الذى يمكنه الاتصال المباشر ..

بوحدة التخزين المركزية لـ(لمعرفة) ..

العقل الآلى ..

الذكاء الصناعى ..

ضغط على لوحة المفاتيح عدة مرات ليشكل السؤال المطلوب :

ـ ما الذى تريده يا (معرفة) .. أكثر من أى شىء آخر ؟

طالت اللحظات ما بين السؤال والإجابة بشكل غير محتمل ..

وطوال ذلك .. حبس المهندس (ناجى) ود.(شادى) أنفاسهما .. فى ترقب وقلق .

ثم سمعا صوتا مميزا ..

وبرزت من فتحة فى أعلى الجهاز .. بطاقة إلى الخارج ..

كانت بطاقة صغيرة .. بلون أزرق فاتح ..

عليها الإجابة المطلوبة بحروف كبيرة .. واضحة :

ـ أريد أن أموت .. فلم أعد أتحمل متاعب البشر !

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا للخيال العلمى

المغامرة المستحيلة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

قام كبير الجراحين بحركة محددة قاطعة ..
دفعت طلبة الطب إلى الاعتدال فى مقاعدهم ..
وهم مشدوهون ..
إذ على الشاشة المجسمة التى تغطى الجدار بأكمله ..
فى قاعة الدراسة ..
ظهر كبير الجراحين بجسمه المثير للإعجاب ..
طويلًا .. نحيلًا .. أبيض الشعر .. مفعمًا بالحيوية ..
وعلى وجهه الوسيم .. خطوط من التغضنات التى حفرها الزمن ..
خفت الضحكات .. والأحاديث .. إلى سكون تام ..
ألقيت كلمة حول إحدى الحالات الجراحية غير العادية ..
كان من الواضح أنها تحير .. وتثير حتى كبار أعضاء هيئة التدريس ..
فى كلية الطب بجامعة الوادى الجديد ..
ولتأكيد هذه النقطة .. كان الدكتور (كمال) والدكتور (عصمت) ..
وهما إثنان من كبار الجراحين بالكلية ..
يسيران بهدوء فى طريقهما إلى داخل قاعة الدراسة ..
ليجلسا بين طلبة وطالبات السنة النهائية ..

ـ ١ ـ

بدأ كبير الجراحين .. يتحدث بكلمات بطيئة حسنة النطق ..
كأى محاضر متمرس .. قال بتؤدة :

ـ كما تعلمون فإننا سوف نتناول اليوم .. مشكلة طبية نادرة .. وإن لم تكن وحيدة فى بابها .. فالمريض الذى يتجه إلى غرفة العمليات الآن .. عانى تسلخًا خفيفًا فى إبهامه الأيسر . فى أثناء العمل هذا الصباح ..
توقف للحظات .. ربما ليجمع أفكاره ..
إلا أن تردده أثار هرجًا غير متوقع ..
وكتم كثير من الطلبة والطالبات ضحكاتهم ..
كما لو كان يقصد الدعابة بعبارته الأخيرة ..
وعندما رأى كبير الجراحين رد الفعل هذا ..
قطب جبينه ..
قائلًا :
ـ إننى لم أقصد الدعابة .. مهما كانت العبارة تحتمل ذلك .. والموضوع يتلخص فى أن هذا الرجل .. يتعامل مع المواد الذرية المشعة .. بشكل غير حريص على ما يبدو .. لأنه حك إحدى هذه المواد الخطرة .. وتلوث جرحه بشظية ضئيلة الحجم للغاية .. يقل وزنها عن عشرة من ألف من المليجرام .. من مادة البلوتونيوم ٢٣٩ .. التى هى فلز من صنع الإنسان .. ويتكون عند قذف ذرة اليورانيوم ٢٣٨ .. بنيوترونات عالية الطاقة ..
وهنا هز كبار الحاضرين رءوسهم بشكل مفاجئ ..
واصل كبير الجراحين حديثه قائلًا :
ـ ... عادة يتم البتر السريع لهذا العضو .. لأننا لا نسمح مطلقًا بدخول

مثل هذه المادة المشعة .. إلى الدورة الدموية الرئيسية بالجسم .. إن ذلك يبدو متطرفًا إلى حد ما .. ولكنه الأسلوب الوحيد المعروف منذ فترة طويلة ..

إن أى كتلة من مادة البلوتونيوم .. مهما كانت ضئيلة .. هى قاتل يعمل داخل الجسم .. ومع ذلك ففى حالتنا هذه .. فإن المريض لم يكن على دراية كافية بمخاطر وظيفته .. وعند خروجه من معهد الأبحاث الذى يعمل به .. وجد نفسه فى موقف خطير لم يتوقعه .. كان البلوتونيوم قد ترك فعلًا إصبعه .. وكمن فى مكان آخر بجسمه ..

توقف فجأة كبير الجراحين .. وتحرك إلى جانب .. بحيث يمكن للحاضرين ـ من خلال الدائرة التليفزيونية المغلقة ـ رؤية منضدة العمليات الكبيرة .. وهى تتزلق بالتحكم الآلى .. على عجلات ومسارات مطاطية ..

وعليها جسم مخدر لرجل ضخم الجثة .. متوسط العمر ..

وسمعوا من خلال أجهزة الصوت المجسم ..

أنفاسه الواهنة المميزة للمخدر الجديد المستخدم ..

والأكثر أهمية من ذلك .. كان صوت النبض المنتظم لمضخة القلب ..

كان هناك وعاء بلاستيكى .. سعة مائة لتر من الدم الصناعى ..

موضوع فى غلاف معدنى فوق المريض ..

وأمكن للحاضرين رؤية منسوب الدم يهبط ببطء ..

إثر قيام محرك قوى صغير ..

بمساعدة قلب المريض على دفع الدم الصناعى النقى .. من الأوعية الدموية ..

وكانت أنبوبة بلاستيكية .. تتجه من وريد فى ذراعه الأيمن ..

إلى حوض كبير .. موجود فى بلاط أرضية غرفة العمليات ..

واصل كبير الجراحين محاضرته ..

وهو يشعر برد فعلهم من خلال الكاميرات الصغيرة .. بغرفة العمليات .. التى تحفظ الصلة بينه وبين طلبته .. ومشاهديه :

ـ ..إن أفضل شىء يمكن القيام به فى هذه اللحظات .. هو مواصلة تجديد الدم بأكمله .. وبهذه الطريقة فإننا نحول دون تأثر كريات الدم الحمراء والبيضاء إشعاعيًا من البلوتونيوم بشكل متواصل .. والدم الزائد الذى يصرف حاليًا .. سوف يحفظ فى بنك الدم المركزى .. ويعاد تشغيله ..

انهمك جراحان من الحاضرين فى مناقشة جانبية .. بصوت هامس ..

وأكمل كبير الجراحين حديثه :

ـ .. قد تتعجبون لماذا لم نتبع أى أسلوب أكثر إيجابية فى الوقت الحاضر .

تفسير ذلك أن المادة المشعة قد استقرت فى وعاء دموى دقيق ..

شعيرة دموية .. تتصل اتصالًا وثيقًا بالجزء الخارجى للعصب البصرى من مكان تفرعه فى المخ .. والآن لو توفر لنا ساعتان فإن الطرق العلمية الحديثة لجراحة المخ .. سوف تساعدنا وتعطينا أملًا كبيرًا فى نجاح العملية للوصول إلى هذه المنطقة .. وإزالة المادة المشعة ..

تريث كبير الجراحين لعدة ثوان ثم أردف قائلًا :

- ولكن هذه العملية الجراحية بالغة الصعوبة .. إذ سوف يكون الضرر الحادث للعصب البصرى وأنسجة المخ المجاورة شديدًا .. لدرجة أن إحدى العينين سوف تصاب بالعمى على الفور .. ويعقب ذلك فيما بعد .. حدوث ضمور سمبتاوى للعصب البصرى الأيسر .. وفقد تام للبصر .. أما تقرحات المخ فسوف تبدى أعراضًا أقل وضوحًا .. ولكنها بالتأكيد أعراض خطيرة .. وأملنا الوحيد هو اتخاذ تصرف سريع جدًا .. نفكر فيه لهذه الحالة بالذات .. وقد حدد عداد جيجر مكان البلوتونيوم فى النقطة التى ذكرتها ..

مسح كبير الجراحين بعض قطرات العرق من على جبهته .. ثم استطرد قائلًا :

- ... وقد أرسلنا إلى زميل جراح مشهور بكفاءته الفذة فى معالجة هذه الحالات الطارئة .. وفى انتظار وصوله .. أمكننى أن أحيطكم علمًا بملخص عام لهذه الحالة .

انفجرت المناقشات الصاخبة فى قاعة الدراسة ..

وزعم كثيرون أنهم يعرفون ما سيحدث .

كان طالب الطب المحظوظ .. هو الذى يشاهد حالة مثل هذه ..

إذ أن آخر حالة مماثلة فى كلية الطب بجامعة الوادى الجديد ..

حدثت منذ نحو ست سنوات .. وتضمنت ورمًا خبيثًا ..

يصعب إجراء جراحة له ..

لأنه أخطر أورام المخ ..

★ ★ ★

تصلب الحاضرون كشخص واحد ..

عندما انتقلت بقعة متلألئة مثل ذرة تضيئها أشعة الشمس ..

بشكل مهيب ..

عبر الهواء المعقم النظيف النقى .. بغرفة العمليات ..

كانوا يسمعون نبضًا حادًا .. كما لو كان صادرًا من محركات دقيقة ..

حامت النقطة اللامعة للحظات ..

ثم انقضت .. وحطت على زجاجة المجهر الإلكترونى ..

ورأى الحاضرون على الشاشة الثانوية ..

التى دبت فيها الحياة على الفور ..

صورة مكبرة لكرية معدنية دقيقة ..

ثم انفتحت كوة بها .. انطلق منها سلم ..

هبط عليه كائن مجهرى ..

فى شكل وحجم كرية الدم الحمراء ..

تحرك على إثنى عشر من الأهداب الخفاقة ..

لمعت عينان كبيرتا الحجم بالنسبة للمخلوق الدقيق ..

بانتظام على كل جزء من القرص الصغير ..

كانتا لامعتين .. وبدون رموش .. ويشع منهما ذكاء .. غير بشرى ..

وبدا نوع شفاف من السروج ..

بنموذج هندسى غريب ..

يحيط بجسم المخلوق المجهرى ..

وغشاؤها يمسك بأدوات كثيرة ومعقدة ..

ولكنها غاية فى الضآلة ..
وتبدو واضحة حدتها ..
هدر صوت كبير الجراحين :
ـ أيها السادة .. إن هذا أحد زملائنا المدربين من جامعة فيجا ..
د. (مالو) .. وهو على وشك الدخول فى الأوعية الدموية للمريض ..
وإزالة شظية البلوتونيوم ٢٣٩ ..
جاء ممرض فنى .. ومعه حقنة لامعة ..
شاهد الحاضرون الإبرة المجوفة ـ تحت المجهر الإلكترونى ـ كماسورة عملاقة .. تتلألأ فى ضوء الشمس ..
وتقف أمام د. (مالو) ..
وبدا أن هناك شقا بدون شفة يبدو كفم ..
فى المركز العلوى للمخلوق الغريب .. الدقيق ..
يتلوى مكشرًا .. !
ويمكن للمرء أن يحس بشعور مثل هذا ..
قبل أن يقفز مكرها فى حمام سباحة .. فى أثناء الشتاء !
تصارع د. (مالو) لبعض الوقت .. مع الطبقة الجلدية الرقيقة ..
عند نقطة إعطاء الإبرة ..
ولأن الممرض الفنى لاحظ هذه المشكلة ..
فقد سحب كباس الحقنة إلى الخلف قليلا ..
ثم شفط د. (مالو) .. خلال الفتحة ..
وأمكن رؤيته بعد لحظات ..

وهو يسبح برباطة جأش .. وشجاعة .. فى المحلول الملحى المقوى .. بالحقنة الشفافة ..

★ ★ ★

اختفت الصورة المكبرة من على الشاشة الثانوية ..
وشاهد الحاضرون الممرض الفنى ..
وهو يخطو إلى جانب المريض ..
وأشار إلى كبير الجراحين .. منتظرا أوامره ..
تجهم وجه كبير الجراحين وهو يقول :
ـ استمر ..
وبحركة بارعة واحدة ..
قام الممرض الفنى .. بدفع الكباس إلى آخر الحقنة ..
بعد أن وجد الوريد الخارجى الكبير فى رقبة المريض ..
الذى يصرّف الدم من المخ نفسه ..
قال كبير الجراحين :
ـ كل ما بوسعنا عمله هو الانتظار .. فليس هناك أى طريقة يمكن أن يتصل بها د. (مالو) بنا فى الوقت الحاضر .. وحتى فى ظل أفضل الظروف .. لابد من وجود جهاز الكترونى معقد جدًا .. وفى أثناء انتظارنا .. دعونى أنشط معلوماتكم عن حلفائنا كائنات كوكب فيجا .. وكما تتذكرون فمنذ ثلاثين عامًا مضت .. أى فى عام ١٩٩٧ بالتحديد .. هبطت أول كائنات فيجا على كوكب الأرض .. ومن حسن الحظ كانت أسوأ فترات الحروب عندنا قد انتهت .. وساد السلام والخير فى العالم كله .. ولهذا لم نقم بأى أخطاء خطيرة فى معاملتنا لهذه الكائنات المتحضرة تماما ..

تريث لبرهة ثم أضاف وهو يشرح على جهاز الشرائح الثابتة :

- .. إنهم باحثون حقيقيون عن المعرفة .. وقبل مرور وقت طويل .. قاموا بإسهامات قيمة جدًا لكثير من المراحل الحضارية .. وكرس عدد من خبرائهم أفضل جهودهم لتعلم التشريح وعلم نفس الإنسان .. وبالرغم من وجود عقبات صادفتهم فى كل من كيفية الاتصال .. وفروق الحجم .. وتم إنجاز ذلك ليس فقط بالدراسة والبحث النظرى .. وإنما أيضا بالأبحاث العملية الفعلية .. داخل أجسام المتطوعين من البشر .. ولأن كائنات كوكب فيجا فى حجم كريات الدم الحمراء .. وخالين من أى عدوى بكتيرية .. فإنهم أصبحوا خبراء لا ينازعون فى علم الأحياء المجهرية ..

صمت كبير الجراحين ليستجمع أفكاره .. ثم أردف :

- ... وهكذا أمكن الاستعانة بهم كخبراء طبيين يساعدون فى العمليات الجراحية الصعبة .. وزاد الطلب عليهم .. فمثلًا نجد أن د. (مالو) مشغول جدًا دائمًا .. بحيث أنه من حسن حظنا أننا حصلنا على خدماته اليوم .. فهو خبير أيضًا فى الإشعاع الذرى .. مما يجعل معاونته لنا فى هذه الحالة الطارئة قيمة جدًا .. وإننى آمل أن يكون فى هذه اللحظات .. قد اقترب من شظية البلوتونيوم ٢٣٩ ..

وهذا ما كان يحدث فعلًا ..

إذ أن د. (مالو) .. أدرك أنه يقترب من هدفه ..

فى أثناء سباحته السريعة .. خلال مجرى الدم الوريدى ..

وهو يصارع تياره المتدفق .. والذى كان قويًا ..

برغم أنه أقل قوة من تيار الشريان .

كذلك ضايقته كريات الدم الحمراء التى فى مثل حجمه ..

كان كاشف الإشعاع الموجود على غشائه ..

فقاعة ضيقة ترتعش مستقرة على المصد ..

توقف فى الدم المتدفق متضايقًا من الصفيحات الدموية الهشة التى يرتطم بها ..

لم ينفذ أى ضوء من الخارج بالطبع ..

ولكن تمكنت عيناه فائقتا الحساسية من لمح وهج ضعيف ..

لكل جزء من أجزاء الأنسجة الحية .. داخل جسم المريض ..

كان التألق خاصية مميزة للحياة ..

برغم أنها كانت أبعد كثيرًا من أن يدركها بصر الإنسان ..

وأمام د. (مالو) .. تفرع الوريد ..

وكان من الضرورى أخذ قراءة فى هذا المكان ..

ولم يكن هناك أى وقت لاستعادة أية خطوات وهمية ..
ففى كل جزء من الثانية ..
كان البلوتونيوم ٢٣٩ .. يضرب أنسجة المريض بقذائف صاروخية ..
ذات طاقة هائلة .. ومدمرة ..
وحدث هذا بالتأكيد فى الفرع الأيسر ..
درس د. (مالو) الشكل العام بدقة .. مستحضرًا معرفته العميقة ..
بتشريح الجسم البشرى ..
فعلى بعد عدة سنتيمترات لابد أن هناك وريدًا أصغر ..
ثم بعده .. شعيرة دموية دقيقة ..
فى حضن العصب البصرى .. المحشورة فيه الشظية المميتة ..
للبلوتونيوم ٢٣٩ .. والتى أوقفت وهى فى طريقها .. إلى القلب ..
ومع ذلك لم يقفز د. (مالو) إلى أية استنتاجات ..
فقد كان يعلم أكثر من غيره ..
مدى الاختلافات الفردية فى التركيب الدقيق للإنسان ..
فالأعضاء الرئيسية للجسم البشرى .. نادرًا ما تختلف فى أماكنها النسبية ..
ولكن شبكات الشعيرات الدموية الدقيقة ..
لم تكن ملتزمة بذلك !
صاح د. (مالو) :
ـ آه .. هنا آخر وريد .. شىء رائع ..
ثم جفل عندما انهال عليه وابل من النويات ..

كان يمكنه سماع الضربات المتلاحقة للمقذوفات الإشعاعية ..
التى تضرب الأنسجة ..
وأصبح أمامه هالة من الضوء ..
لا يمكن لعينيه النظر إليها ..
تقدم ببطء شديد .. وتردد ..
والمؤكد أنه كان ذا مناعة نسبية لأسوأ تأثيرات النشاط الإشعاعى ..
ولكن الألم أصبح رهيبًا ..
كانت الأشعة الكهرومغناطيسية المباغتة ..
مثل ضوء الشمس على ملتحمة عين ملتهبة ..
وارتطم بلا رحمة .. بوابل من الكواركات التى تكوّن الجسيمات النووية .. التى تفتت إثر مرورها فى الأنسجة والماء ..
بجسمه الرقيق ..

★ ★ ★

توقف د. (مالو) فجأة ..
إذ حدث ما يعكر الصفو .. ويضيع الوقت ..
وخصوصًا فى هذه الشعيرة الدموية الضيقة ..
حيث تتحرك كريات الدم الحمراء فى طابور طويل ..
فقد ظهر شبح كتلة ناصعة ..
كرية دم بيضاء ..
تهرع بكل تأكيد لمساعدة الخلايا المعذبة ..
لقد بدأ جهاز المناعة فى العمل ..

كانت كرية الدم البيضاء تتوقع ـ فى حدود ذكائها ـ هجومًا بكتيريًا ..
فمرقت أمام د. (مالو) مباشرة ..
من خلال جدار الوعاء الدموى...
وأصبحت الآن تعترض طريقه .. مهددة ..

ـ ٤ ـ

ويبدو أن الإدراك المحدود لكرية الدم البيضاء ..
تعرّفه كجسم غريب لا وظيفة له ..
داخل الدورة الدموية ..
وبرغم أن د. (مالو) .. كان أكبر من أن يحاصر ..
إلا أنها أغلقت الطريق عليه ..
واندفعت بعض بروزات منها تجاهه ..
لم يكن يرغب فى مقاتلة هذا الشىء .. الرطب .. كريه الرائحة ..
كانت عينا د. (مالو) تجويفين من الألم ..
ارتعد جسده كله من جراء هذا العذاب الرهيب .. القاسى ..
من الرصاصات الإشعاعية المقذوفة عليه ..
لم يكن يريد زيادة تعقيد الموقف ..
وبالرغم من أن كرية الدم البيضاء .. كانت عنيدة وقوية ..
إلا أنها من الصعوبة أن تتسبب فى أى ضرر له ..
فقط يمكنها أن تشل عددًا من أهدابه ..
ومن ثم تسبب تأخيرًا فى الوقت ..
وهذا قد يكون قاتلًا للمريض ..

★ ★ ★

حاول د. (مالو) أن يهرب من الصدام ..
بالنفاذ خلال جدار الخلية ..
ولكنه كان أقل مرونة من كرية الدم الحمراء ..
ولم يتمكن من تنفيذ ذلك فى هذا المكان .. من الشعيرة الدموية ..
وأدرك أنه يجب ألا يضيع أى جزء من الثانية ..
فاستخدم زوجًا من أهدابه ..
فى إطلاق قذيفة من عدة الحرب المسلح بها ..
وتحت ضغط غاز الأرجون المضغوط بقوة ..
انطلقت إبرة بللورية بسرعة خلال البلازما ..
واستقرت داخل الكيان الرغوى .. لكرية الدم البيضاء .
فتحولت إلى نقطة تتفجر .. فى احتضار .
ولم يلبث غشاؤها الخفىّ .. أن تطاير مطلقًا البروتوبلازما السائلة ..
فى سيال الدم المتدفق ..
وفى ذلك الوقت ..
كان د. (مالو) يسبح مواصلًا طريقه ..
لإنقاذ المريض ..

★ ★ ★

أصبحت الهالة الضعيفة .. شمسًا صغيرة ..
ولمعت عيناه حتى خلال الدروع المحيطة بجسمه ..
لم يكن قد اقترب جدًا من هدفه ..
ولكنه استطاع بسرعة .. ودقة ..

أن يحدد مقدار الضرر الناتج .. الذى يريد معرفته ..
كان العصب البصرى .. قد أصيب إصابة بالغة ..
ولكن ليس مينوسًا منه ..
استطاع رؤية سطحه الباهت ..
من وراء جدار الشعيرة الدموية الشفاف مباشرة ..
الذى كان عبارة عن مجموعة مكثفة من التقرحات ..
لم يكن باستطاعة د. (مالو) أن يرى المخ ..
ولكنه قدر على ضوء مقدار وشدة الإشعاع ..
أن هناك فرصة لكى يصاب المريض ..
بنوع من الشلل طوال حياته !
وآمل ألا يحدث ذلك ..
أخذ خطافًا خاصًا من بين أصابعه .
وفك جزءًا من سلك معدنى مرن .. متصل به .
ثم سبح إلى أقرب مكان .. يجرؤ على الوصول إليه من الكتلة النارية المتفجرة .. وأطلق الأداة التى معه ..
تنساب خلال السائل المضىء الساكن تقريبًا .
فى هذا الجزء الأمامى من الدورة الدموية ..
احتاج الأمر لأكثر من محاولة ..
وأخيرًا أحاطت الكلابات الخطافية كالقفص .. حول شظية البلوتونيوم ٢٣٩ ثم جذب د. (مالو) السلك بقوة ..
لقد نجحت الخطة ..

لم يكن هناك أى وقت لجر الشظية إلى الخلف عبر الطريق الملتف .. الذى وصل منه ..
وكان من الأفضل إخراجها من العصب البصرى فورًا ..
ثم اتخاذ أقرب وأقصر طريق .. إلى خارج جسم المريض ..

ـ ٥ ـ

سبح بقوة وهو يشد السلك ..
إلا أن الشظية الدخيلة .. كانت ثقيلة الوزن ..
وأغلقت التهابات الشعيرة الدموية .. الأنسجة المنتفخة حولها ..
تمكن د. (مالو) بقليل من الضيق .. من انتزاع أداة ذات عجلات من عدة حربه ..
ثم عاين بسرعة جدار الوريد القريب منه ..
وبدأ فى العمل ..
قام بتوجيه عدة ضربات بارعة .. بسكين متين ..
حتى ظهرت ثلاث فتحات فى النسيج القوى ..
وفى خلال بضع لحظات ..
ثبّت فى هذا المكان .. الأداة التى معه ..
وهى عبارة عن مجموعة بكرات وحبال دقيقة جدًا .. تضاعف القوة الميكانيكية اليدوية .. إلى أربعة أضعافها ..
ثم لولب الطرف الحر للسلك جيدًا ..
وشده بقوة جبارة ..

★ ★ ★

سمع صوت تمزق .. واندفاع الخلايا ..
حيث فقد الوعاء الدموى تماسكه ..
ولم تلبث الكتلة المشعة .. وهى تنز .. وتومض بشكل وحشى ..
أن اندفعت فى اتجاه التيار الدموى .. تجاهه ..
ولم يكن أمام د. (مالو) سوى أن يفعل شيئًا واحدًا ..
هو إطلاق قبضته من على السلك ..
والفرار ..
وإلا أدركته الكتلة النارية الملتهبة ..
وصرعته فى الحال ..
غضب من نفسه .. بل احتقرها .. بسبب هذا التفكير ..!
ثم اختبأ جيدًا .. فى فرع جانبى .. تاركًا شظية البلوتونيوم ٢٣٩ ..
تمر بسرعة .. وشعر بحزن شديد ..
فماذا يحدث لو وصلت هذه المادة المشعة .. إلى مكان أسوأ ؟
أخذ يتتبع مسار الشظية ..
حتى وصلت إلى شعيرة دموية أخرى .. دقيقة جدًا ..
أطبقت عليه ..
كان وزن البلوتونيوم ٢٣٩ .. وعدم تناسقه .. هما اللذان حرفا مساره عن مجرى الدم الرئيسى ..
وإلا فإنه كان لابد من مطاردته الآن ..
خلال الرئتين !
لهذا كان من الأفضل الخروج من هذا المكان .. وبسرعة ..

أخذ د. (مالو) كلابًا خطافيًا آخر من عدته القتالية ..
وقذفه على الشظية المشعة الدخيلة ..
فأمسك بها للمرة الثانية ..
وقدر الموقف بسرعة ..
ثم استخدم شفراته الحادة ..
فى أربعة أهداب متجاورة له ..
لشق طريقه نحو الجلد الخارجى .. للمريض ..

★ ★ ★

كانت الفتحات التى صنعها د. (مالو) صغيرة جدًا بما لا يسبب نزيفًا دمويًا ..
وتمكن .. باعتباره مثل كرية دم حمراء ..
أن ينزلق من أى جدار متهدل من الأنسجة ..
ومكنته قوته الكبيرة النسبية .. ومهارته الفائقة ..
علاوة على مجموعة الأدوات الحربية الرائعة .. التى كان يحملها معه ..
من سحب شظية البلوتونيوم ٢٣٩ .. وراءه ..
ويمكن تشبيه هذه العملية للإنسان .. بأنها مثل جَرّ عربة سكة حديد محملة .. لعدة كيلومترات فى غابة استوائية ..
بوساطة رجل واحد !
وجه د. (مالو) ضربة أخيرة بسكينه القوى ..
ثم وجد نفسه خارج جسم المريض ..

ويجر وراءه .. الشظية المشعة من مادة البلوتونيوم ٢٣٩
فوق الصدر النابض للمريض .. المغطى بملاءة بيضاء مطوية .. ومعقمة ..
وتشكل سماء مروّعة .. لعينى د. (مالو) ..
شاهد الحاضرون .. الممرض الفنى ينحنى على المريض المسجى ..
كان يمسك فى يده بمجهر يدوى يعمل بأشعة الليزر .
ثم التقط قطعة البلوتونيوم ٢٣٩ .. فى ورقة من الصوف الرصاصى ..
وأمسكها إلى أعلى .. فى انتصار ..
وكان د. (مالو) يقف منتظرًا على جسد المريض ..
وبجواره بقعة قرمزية ضئيلة ..
كانت تلك هى .. كل الدم الذى أريق ..
فى هذه العملية الجراحية .. الطارئة ..
دوت القاعة بالتصفيق ..
وكان مثل صوت الرعد فى أذنى د. (مالو) ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الديناصور والزمن

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ ش الأمير سلطان بالإجابة - القاهرة - ت ٥٥٥٥٠٩

حدث كل شيء فجأة .. بدون إنذار ..
ففى لحظات .. كانت مركبة الاستكشاف العلمى (الرازى ـ ١) .
فى طريقها الروتينى الهادى .. تجاه كويكب (أدونيس) ..
الواقع بين كوكبى المريخ والمشترى ..
ثم فى اللحظات التالية ..
انفجر الكويكب على هيئة كرة مضيئة عملاقة ..
وبشكل أعمى ـ مؤقتًا ـ .. الركاب الأربعة لسفينة الفضاء ..
وأحاط المركبة الصغيرة .. بتلاطم غازى واسع الانتشار ..
وحطام مندفع بقوة جنونية ..!

ـ ١ ـ

حفظتهم الأحزمة الواقية فى مقاعدهم ..
وإلا كانوا تحطموا مثل عرائس الأطفال ..
ولكنهم فقدوا الوعى ..
قبل أن يسمعوا التصريف المدمر للطاقة من الكابلات المحطمة ..
أو يشموا الأدخنة النفاذة الصادرة من أجهزة التحكم ..
التى أصبحت فى حالة شديدة .. من الفوضى .. والتحميل الزائد ..
أول من استرد وعيه (شريف عمر) ..
وكان ذلك قبل عدة لحظات ..
من تذكره للصدمة المذهلة .. للإنفجار ..

كانت أضواء الطوارئ تومض فى خفوت ..
وغلف منطقة التحكم كلها .. وهج أزرق غير عادى ..
وسمع الطنين الحاد الصادر من مرشحات الهواء الاحتياطية ..
فك (شريف) بحذر شديد الكابلات ..
وحرك أعضاءه فى حرص ..
واطمأن على عدم وجود كسور بها ..
جلس يتنفس بعمق لعدة دقائق ..
وعيناه تحدقان فى والده الدكتور (عمر شوكت) .. وأخته الصغيرة (نانسى) ..
ورائد الفضاء (أيمن فتحى) ..
وفى الخارج ظهرت القطيفة السوداء الفضائية ..
من خلال شاشات الرؤية ..
فى شكل غامض وموحش .. كعهدها دائمًا ..
لم يكن هناك أي علامة أو إشارة للسحابة الغازية ..
التى تحول إليها كويكب (أدونيس) المنفجر ..
تأوه د. (عمر) .. وهز رأسه ونظر حوله .. ثم قال بضعف :
ـ ما الذى حدث ؟
فك أحزمة الوقاية .. ومال ليطمئن على (نانسى) و(أيمن) ..
وعندما تأكد أنهما بخير ..
تنفس فى ارتياح ..
وبالتدريج بدأوا يستعيدون حواسهم .. وقدرتهم على الحديث ..

وكانت أصواتهم أجشة .. مزعجة .. ومتوترة ..

قالت (نانسى) وهى تلوح بيدها الرقيقة :

ـ هل كان ذلك صاروخا ؟

رد (أيمن) بسرعة :

ـ لا أظن يا (نانسى) .. فلو كان كذلك لأصدر لنا الكمبيوتر تحذيرًا ..

قال (شريف) وهو ينهض متثاقلًا :

ـ إن هذا تطبيق غير علمى يا (أيمن) !

وكان (شريف) ذا تفكير علمى دائمًا ..

يجمع المعلومات ..

ويضع البدائل المتاحة ..

ويدرسها جيدًا ..

ثم يتخذ القرار المناسب ..

لذا ذهب لفحص الأجهزة والعدادات الرئيسية ..

أبدى دهشته بعد حوالى نصف ساعة .. وهو يقول :

ـ عمليًا .. كل شىء مضطرب .. ويعنى ذلك أننا سوف نقوم ببعض الإصلاحات !

تحرك رائد الفضاء (أيمن) .. تجاه جهاز الاتصال الذى يعمل بالليزر .. قائلًا :

ـ على الأقل .. يبدو أن هذا الجهاز ما زال يعمل .. يحسن بى أن أبلغ سفينة الفضاء الرئيسية .. أن مركبة الاستكشاف العلمى (الرازى ـ ١)

سليمة .. ومن العجيب حقًا .. أنه لا يبدو أن هناك أى تلف أو عطب ضخم فى جسم مركبتنا ..

قالت (نانسى) فى فرحة :

ـ هناك شىء لا بأس به .. إن وسائل التحكم الثانوية مازالت تعمل .

وقامت بتجربتها عمليًا .. على أقصى تشغيل ..

ثم ابتسمت للآخرين .. واستطردت قائلة :

ـ .. ما زالت لدينا المحركات ووحدات الدفع .. ولذلك فإننا غير مشلولين عن الحركة ..

كانت (نانسى) قد بلغت الرابعة عشرة لتوها .

ولكنها كانت تعتبر نفسها ـ وبحق ـ محنكة فى شئون الفضاء ..

فهى مثل أخيها (شريف) .. قضت معظم السنوات الخمس الماضية فى الفضاء ..

وكثيرًا ما أخبر والدهما زملاءه من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة التكنولوجية .. أن ابنه وبنته يساويان أكثر من الفنيين المتخصصين .

بسبب خبرتهما العملية فى الأجهزة المستخدمة .. بسفن الفضاء .

★ ★ ★

قال رائد الفضاء (أيمن) بحذر :

ـ هذا شىء غريب ! إننى لا أستطيع الاتصال بالسفينة الرئيسية .. ومؤشرات جهاز المراقبة يبين أننى أرسل وأستقبل الإشارات بشكل عادى .. ولكن لا يوجد شىء مطلقًا .. سوى التشويش ..

قال د. (عمر) بصوت مدرب دقيق :

ـ (نانسى) .. قودى المركبة فى دائرة بطيئة .. ودعينا نر ما إذا كان فى الخارج .. أى شىء يمكن رؤيته ..

عادت الفتاة إلى أجهزة التحكم ..

بينما تنقل الباقون من كوة إلى أخرى ..

يحدقون فى الفراغ اللانهائى ..

كان يجب أن يلاحظوا الصورة البعيدة ..

لسفينة الفضاء الرئيسية على الشاشة ..

ولكن لم يبد أى أثر لها ..

غمغم د. (عمر) قائلا :

ـ لا أستطيع أن افهم هذا !

كان (شريف) أمام صورة مكبرة لأخاديد وبثور علوية ..

قال وهو يرفع حاجبيه :

ـ انظر يا أبى .. إنه كوكب .. ذو غلاف جوى .. لا يبعد عنا بأكثر من ست ساعات .. بسرعة متوسطة ..

قال (أيمن) بدهشة :

ـ أنت على حق يا (شريف) .. ولكنى لا أعرف كيف !.. أقصد أننا لم نكن بجوار أى كوكب !

ارتعد (شريف) وقال :

ـ إننا لا نتصور مثل هذا الكوكب ..

أيا كان السر ..

فهناك شىء واحد مؤكد ..

أنه لن يحدث أى تصرف إيجابى قبل تقييم العطب .. وإصلاحه بقدر الإمكان ..

احتاج الأمر منهم إلى عدة ساعات ..

وفى الوقت الذى نجحوا فيه ..

فى إعادة مركبة الاستكشاف العلمى (الرازى ـ ١) ..

إلى حالتها العادية ..

كانوا قد أصبحوا منهكين للغاية ..

بدأ (أيمن) من وقت لآخر يعيد محاولاته مع جهاز الاتصال ..

ويوجه رسائل إلى هذا الكوكب البعيد .. الغامض ..

ولكنه لم يحصل على أية نتيجة ..

وتأكد الجميع فى هذه اللحظات ..

أنهم أصبحوا .. مفقودين فى الفضاء ..

ـ ٢ ـ

غط الأربعة فى نوم عميق ..

وكانوا مضطرين لذلك ..

وبمجرد أن استيقظوا بعد عدة ساعات ..

تناولوا الكبسولات الغذائية .. التى تمدهم وقت الطوارئ ..

بالاحتياجات اليومية العادية ..

بدا أن لديهم استعدادًا أكثر ..

لعمل تصرف إيجابى .. بشأن مصيرهم المجهول ..

قال د. (عمر) بإصرار :

ـ سوف نتجه إلى هذا الكوكب .. مهما كان أمره .. واستمر يا (أيمن) فى إرسال الإشارات .. ربما نتلقى إجابة ..

كانت (نانسى) مشغولة بجهاز الاستشعار عن بعد .. الذى يعمل بالموجات الدقيقة .. المايكروويف ....

قالت بسعادة :

ـ درجة حرارة الكوكب معتدلة .. الغلاف الجوى يحتوى على أكسوجين وبخار ماء ونيتروجين .. يبدو أننا محظوظون ..

★ ★ ★

مضت مركبة الفضاء فى طريقها ..

ولكن أولًا بحذر .. حتى لا تزداد الأحمال على المحركات ..

ثم زحفت إلى الأمام .. مع الزيادة التدريجية لقوة الدفع المفاجئ ..

وحتى هذه اللحظات كان كل شىء على ما يرام ..

ومركبة الاستكشاف العلمى (الرازى ـ ١) ..

تقوم بأفضل أداء ممكن ..

أصدر د. (عمر) أوامره :

ـ أريد صورًا أقرب لهذا الكوكب على الشاشة الكبيرة للكمبيوتر .

وما شاهده هو و(نانسى) .. أطلق من شفاههم شهقات الدهشة .. والعجب .. فقد قامت وحدات التصوير بالكمبيوتر الضوئى تلقائيًا .. بمسح معظم جو هذا المكان من الصورة ..

وبذلك تحسنت المناظر .. وبدت الكتل الأرضية بشكل مألوف تمامًا !

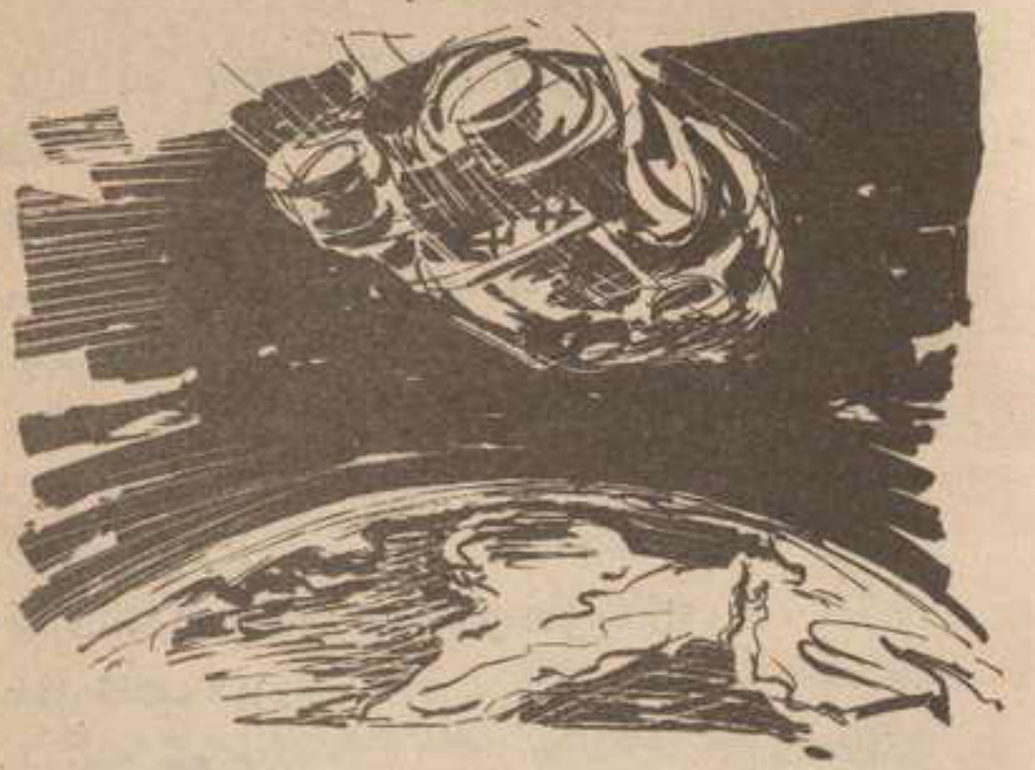

هتف (أيمن) مذهولًا :

ـ إننى لا أصدق هذا ! إنها قارة إفريقيا ! وهذا هو البحر الأحمر ..

كان يعلم أن (شريف) و(نانسى) قد انضما إليه ..

استطرد قائلًا :

ـ ... وهذا هو جزء من قارة آسيا .. إنه كوكب الأرض !

قال د. (عمر) بتؤدة :

ـ (أيمن) .. إننا بالتأكيد لا نحلم .. والتفسير الوحيد المعقول أنه بطريقة ما لا نفهمها .. أجبرنا هذا الانفجار الكويكبى على الدخول فى نوع من البعد الرابع فى الفضاء .. أى الزمن .. ودفعنا بقوة إلى كوكب الأرض !

هز د. (عمر) رأسه من جانب لآخر .. وهو مندهش .. وجلس متثاقلًا ..

لعق (أيمن) شفتيه الجافتين وقال :

ـ ولكن .. ما سبب توقف الاتصالات .. إن ذلك ليس له أى معنى .

رد د. (عمر) بسرعة :

ـ إننى لا أتفق مع أى من النظريات التى تقول بوجود أرض توأم فى مكان ما من الكون .. إذا كان هذا ما تقصده ..

ضبطت (نانسى) الكمبيوتر ..

ليقوم بعمليات الهبوط الاضطرارى للمركبة ..

خلال الغلاف الجوى ..

فى مسار متعرج ..

ولم يكن بوسعهم عمل أى شىء ..

سوى الانتظار ..

★ ★ ★

مرت عدة ساعات ..

انتقلوا فيها من السواد التام ..

إلى اللون البنفسجى الداكن ..

ثم إلى اللون الأزرق الفاتح ..

الذى يميز السماء المفتوحة ..

شاهدت (نانسى) جزءًا من شمال إفريقيا ..

على جهاز الفيديو المجسم ..

وفجأة أدرك أربعتهم أنه أيًاكان الخلل الذى حدث ..

فإنه قد نقلهم بلايين الكيلومترات فى غمضة عين ..

رأوا غابات كثيفة .. وسهول مستوية ..

ملينة بالمستنقعات ..

وتحيط بها تلال قاحلة من الشمال والجنوب ..

فى نفس الأماكن التى يجب أن تكون فيها ..

تونس والجزائر ..

شهق (أيمن) وهو يقول :

ـ يا إلهى ! لقد رجعنا إلى الوراء فى الزمن أيضًا ! ولا عجب الآن فى أن جهاز الاتصال لا يعمل مطلقًا !

كان الجميع عقلاء بما يكفى .. لعدم الدخول فى حالة من الذعر ..

فأى قدر من القلق أو الغضب .. لن يغير من موقفهم شيئًا ..

ولكن لا يعنى هذا .. أنهم استسلموا لمصيرهم !

قال د. (عمر) وهو يومئ برأسه :

ـ يستحسن أن نهبط يا (أيمن) .. وأرى أن يكون ذلك على الأرض الصخرية المرتفعة هناك ..

وأشار إليها ..

قالت (نانسى) وهى تضع يديها فوق وجهها :

ـ إننى أعجب يا أبى .. كم رجعنا إلى الوراء فى الزمن ؟

رد د. (عمر) وفى عينيه نظرة قلق :

ـ لا أرى أى أثر للحضارة .. وبدراسة التضاريس التى أمامنا .. أعتقد أننا رجعنا فعلًا .. إلى الفترة التى سبقت ظهور الإنسان !

أصدر (شريف) صفيرًا منخفضًا طويلًا .. وقال :

ـ تخيلوا هذا .. إن الكوكب بأكمله ملك لنا .. إن هذا شعور طاغى ومروّع !

وصفق بيديه ..

قال (أيمن) وهو متجهم الوجه :

ـ سوف نعيش حتى العصر القديم .. ثم نندثر وتنمحى كل آثار وجودنا .. وتتحول مركبتنا الفضائية إلى تراب .. وعندما تبدأ الحضارة الإنسانية فى الظهور والازدهار .. لن يبقى شىء ليخبر أعظم علماء الآثار عنا ..

قال د. (عمر) وهو يرسم ابتسامة على شفتيه :

ـ ألا تستطيعون أن تتصوروا كم هو مثير أن أعثر أنا أو أحدكم فى وقتنا الحقيقى .. على آثار مركبة فضائية منذ ملايين السنين !؟

هز كتفيه وبسط كفيه واستطرد :

ـ ... أشعر أننى حى بن يقظان .. الذى عاش منذ نشأته الأولى بجزيرة نائية خالية .. والذى كتب قصته ابن طفيل فى القرن الثانى عشر الميلادى .. ولكن بفارق واحد .. هو أننا لسوء الحظ ليس أمامنا أدنى فرصة للهرب ..

تريث لبرهة ثم أردف قائلًا :

ـ .. فلا توجد أية طريقة يمكننا بها .. تحديد مكاننا ثم الملاحة الفضائية إلى الوراء .. فى المتصل الزمانى المكانى .. أى التداخل بين الزمان والمكان .. تطبيقًا لنظرية النسبية الخاصة لأينشتين .. الذى صور

الكون على أنه فراغ .. ذو أربعة أبعاد .. تحدد الأحداث فيه .. بثلاثة أبعاد (طول ـ عرض ـ ارتفاع) .

وهذا هو المكان .. وبعد رابع هو الزمن ...

★ ★ ★

أتمت مركبة الاستكشاف العلمى (الرازى ـ ١) ..

الهبوط بشكل رائع ..

وخرج الركاب الأربعة .. إلى سطح الكوكب ..

كما لو كانوا منفيين إلى جزيرة مهجورة ..

لم يصل إليها أحد قبلهم ..

بدا لهم أن هذا العالم الساكن ..

والهواء النقى المشبع بغاز الأوزون ..

والدفء تحت شمس الظهيرة ..

مألوف لديهم ..

ولكن فى نفس الوقت .. غريب عليهم !

انحنى (شريف) ومر بأصابعه .. خلال الزهرات المتفتحة .. لبعض الورود البرية .. التى تنبت بين الصخور الرسوبية ..

قال بلهجة علمية واثقة :

ـ إن اسمها نبات النارديين .. إننى أتنكر نموه على الجدران حول مركز الفضاء فى الوادى الجديد .. إننى أتساءل .. هل استمر فى البقاء لملايين السنين ؟

فجأة صرخت (نانسى) :

ـ لقد رأيت لتوى سحلية صغيرة خضراء .. أى أنه توجد حياة هنا !

حك د. (عمر) ذقنه غير الحليقة وقال :

ـ سوف نستخدم المركبة (الرازى ـ ١) .. كقاعدة لنا فى الوقت الحالى .. ثم نرسل بعثة لمعرفة الطريق إلى النباتات التى يمكننا أكلها .. ونتناقش فيما نحتاج لتعلمه لكى نصطاد .. إذا كان هناك ما نستطيع اصطياده هنا ..

تريث للحظات ثم استطرد قائلًا :

ـ .. وقريبًا جدًا سوف نخطط لبناء مأوى جديد لأنفسنا .. مثل منزل أو مجمع سكنى .. ويبدو أن لدينا مصادر وإمكانيات غير محدودة هنا .. وتحت تصرفنا .. ولست أرى أى احتمال لإصابتنا بالضيق والسأم .. فى الأعوام القليلة القادمة .. على الأقل ..

خلل (شريف) أصابعه المرتعدة فى شعره قائلًا :

ـ الأعوام القليلة القادمة !؟

كان كل شىء يؤكد ..

بداية البعد عن الوطن ..

فجأة .. وصلت إلى مسامعهم ..

صرخة مدوية ..

من أعماق الغابات إلى الشمال ..

وعندما التفتوا وجدوا قطيعًا من المخلوقات التى تشبه الطيور الهائلة .. ترتفع إلى عنان السماء ..

ثم تطير بسرعة فائقة ..

وبعد ذلك تهبط مرة أخرى ..

ـ ٣ ـ

شهق (شريف) قائلًا :

ـ طيور التيروداكتيل ! شىء مذهل ! إننى أرى طيور التيروداكتيل حقيقة ..

إن علماء الحفريات يطلقون عليها (التنين الطائر) ..

سألت (نانسى) متهيبة :

ـ إن ذلك يعنى أننا فى العصر الطباشيرى .. وهو من حقب الحياة الوسطى .. الذى استمر ملايين السنين .. أليس كذلك ؟

أومأ (شريف) برأسه موافقًا ..

فتح د. (عمر) مخزن بضاعة مركبة الاستكشاف العلمى (الرازى ـ ١) ..

وأنزل سيارتين صغيرتين ..

تتحركان بقوة الدفع الدوّار الدائم ..

واختار لكل فرد مسدسًا يعمل بالأشعة الكهرومغناطيسية .. لوقايتهم الشخصية ..

ثم قال بصوت خافت :

ـ أنا و (أيمن) سوف نأخذ السيارة (ألفا) .. وأنتما الاثنان ستستقلان السيارة (بيتا) .. على أن نكون جميعًا على اتصال بوحدات اتصال الليزر ..

سألته (نانسى) مترددة :

ـ وماذا بخصوص سفينة الفضاء الرئيسية ؟

رد والدها :

ـ سوف نؤمن المركبة (الرازى ـ ١) .. وإذا ضبطنا الكمبيوتر بها .. فسيخبرنا باقتراب أى خطر منا ..

ثم ابتسم قائلًا :

ـ ... أنتما الاثنان .. عليكما بالحذر ولا داعى لأى مجازفات . اضبطا أجهزة الاتصال .. على أن نتقابل هنا بعد ساعتين مثلًا ..

قال (شريف) وهو يضحك :

ـ من الغريب حقًا الحديث عن الساعات مرة أخرى .. بعد كل هذا الزمن الذى قضيناه فى الفضاء .. وسوف أستكشف أنا و (نانسى) الأرض بجوار النهر من الشمال .. إذا كان ذلك لا بأس به .. اذهبا أنتما إلى الغابة .. ما رأيكما فى إحضار بعض بيض طائر التيروداكتيل .. للعشاء ؟!

قالت (نانسى) بلهجة اتهام :

ـ أرى يا (شريف) .. أنك بدأت تستمتع بحياتنا الجديدة هنا ..

ابتسم لها أخوها وقال :

ـ وماذا عسانا نفعل غير هذا ؟

★ ★ ★

سارت السيارتان الصغيرتان بخفة ..

فوق المنحدر الصخرى الوعر .. بكفاءة تامة ..

وبالطبع لم يقم أحد من قبل .. بمثل هذه المغامرة فى الزمن ..

وعندما انتهت حالة مواجهة الموقف الجديد .. غير المألوف ..

كان عليهم أن يقاوموا الصعاب .. عندما تأتى ..

فى هذا العالم الغريب ..

تحققت (نانسى) من أن جهاز الاتصال يعمل ..

ثم استغرقت مع (شريف) .. فى فحص ومشاهدة البيئة المحيطة بهما ..

كان النهر الصغير الصافى .. ممتلئا بالأسماك ذات الأحجام المتوسطة .. وعلى ذلك فلن تواجههم مشكلة .. الهلاك جوعًا ..

قالت (نانسى) وهى تحدق فى الأجسام البراقة أسفل سطح الماء :

ـ لقد توقعت أن أجدها أنواعًا من التى عاشت قبل التاريخ .. مثل الأسماك الضخمة المنقرضة منذ العهد الديفونى .. أو ما شابه ذلك !

قال (شريف) يوافقها على رأيها :

ـ إنها تشبه كثيرًا أسماك زمننا الحقيقى .. إن هنا ثروة للنظريات العلمية لحياة ما قبل التاريخ ..

توقع أن ترد عليه أخته بأى رد ..

نظر إليها ..

كانت (نانسى) جالسة جامدة فى مكانها .. وعيناها مفتوحتان عن آخرهما ..

فى رعب ممتزج بالدهشة ..

وهى ترنو ببصرها إلى شىء ما .. فى الجانب البعيد من النهر ..
تحركت شفتاها بدون صوت .. ثم تقلصت ..
حرك (شريف) رأسه إلى الخلف ..
ليرى ما يشد نظرها .. ويرعبها إلى هذا الحد ..
ولم يلبث هو الآخر أن جلس مشدوهًا ..
فى رعب مميت ..

ـ ٤ ـ

كان يقف بجسمه الهائل .. المخيف ..
فى هدوء .. بالغ ..
يراقبهما بحدة بالغة ..
ديناصور عملاق .. مدرع .. بقشور صلبة ..
ورأسه كقارب مقلوب رأسًا على عقب ..
وفكاه المرعبان .. ينطويان على أسنان حادة .. رهيبة ..
همس (شريف) بصوت مهتز :
ـ إنه يترانوصور ركس .. أحد الديناصورات الجبارة التى عاشت فى وقت ما .. على سطح الأرض .. منذ ملايين السنين .. من زمننا الحقيقى !
وفى حركة واحدة .. دفعت وسائل التحكم فى السيارة إلى الأمام .. فدارت حول طولها .. إثر قيام المخلوق الرهيب بضربها .. بقائمتيه الخلفيتين القويتين .. فى قفزة مفاجئة لا تصدق ..

اهتزت الأرض عند هبوطه عليها ..
وقدماه الأماميتان بالقرب منهما ..
ولكن رأسه المخيف .. منخفض إلى أسفل ..

★ ★ ★

لم تصبهما هذه الضربة المميتة ..
ولكن مسدس الإشعاع طار من يد (شريف) ..
إلى الأدغال القريبة ..
وسط انهيار الصخور النارية .. والطين .. عليهما ..
من الضفة المرتفعة للنهر ..
انزلق نصف جسم (نانسى) من جانب السيارة ..
ونجح (شريف) بصعوبة فى الإمساك بها وجذبها إلى الداخل ..
بينما كانا يعبران بعنف .. فوق مياه النهر ..
طاردهما الديناصور العملاق بخطوات جبارة ..
كان ذلك أسوأ كابوس يتخيلانه ..
وحتى مع تحرك السيارة البرمائية .. بأقصى سرعة ..
لم يمكنهما حفظ فاصل بينهما .. وبين المطارد اللعين !
انطلقا مباشرة تجاه شق مناسب فى الصخور النارية .. التى على يسارهما .. بينما أخذت (نانسى) تطلق بضع طلقات مرتعشة .. وغير فعالة .. من مسدسها الإشعاعى ..
صاح (شريف) بأمل :
ـ لو نجحنا فى الدخول فى هذا النفق .. فسوف نكون فى أمان .. فهو أكبر حجمًا من أن يمكنه متابعتنا فيه !
تمكنا من ذلك بصعوبة كبيرة ..
وبعد ما لا يزيد على عشر دقائق .. من الأمل واليأس ..

اختفى الديناصور الضخم ..
فى مكان مجهول ..
نظر (شريف) و(نانسى) إلى بعضهما البعض ..
وتمكنا من التقاط أنفاسهما ..
فى تنهيدة راحة طويلة .

ـ ٥ ـ

قال (شريف) مبتسمًا :
ـ عندما نبدأ فى بناء منزل لنا .. يجب أن يكون مماثلًا للقلعة الحصينة ..
ثم ضحك فجأة برنة هستيرية .. وواصل حديثه قائلًا :
ـ ... هل تعرفين بم يذكرنى هذا ؟
نظرت إليه (نانسى) فى دهشة :
ـ كلا ..
ـ بأحد الأفلام القديمة من القرن العشرين .. فى قاعة التسلية بالسفينة الرئيسية .. لعل اسمه ، مليون سنة قبل الميلاد ، أو شىء من هذا القبيل .
لم تكن (نانسى) تنصت إليه ..
فقد هبطت من السيارة ..
وفى مؤخرة النفق .. وجدت شيئًا نصف مغروس فى الأرض .. مغطى بالحجارة الصغيرة ..
قالت وصوتها يرتعش :
ـ (شريف) .. تعال وانظر إلى هذا .
اعتدلت واقفة .. وهى تدير شيئًا ما .. بين أصابعها ..
ثم أردفت بذهول :
ـ ... لم يكن هناك بلاستيك .. فى عصور ما قبل التاريخ !

وأعطت قطعة من البلاستيك لـ(شريف) ..
الذى شهق وهو ينظر إليها ..
كانت عبارة عن مقبض حربة تآكل معدنها .. منذ زمن طويل ..
وعندما بحثا فى الأنقاض .. وجدا مجموعة من بطاقات إثبات الشخصية لجنود ..
مختومة بشعار .. عبارة عن تاج وقلعة مرسومة داخل مثلث ..
وكان أغرب ما فى الأمر .. أن كل البطاقات تحمل تاريخا واحدًا ..
يونية ٢٤١٢ ميلادية ..!!
قالت (نانسى) أخيرًا .. :
ـ إننا لسنا فى الماضى إذن !
وكان صوتها ضعيفًا جدًا ..
ثم أردفت بعد عدة ثوان :
ـ .. إننا فى المستقبل !.. القرن الخامس والعشرين .. لقد دمرت الحضارة البشرية .. بسبب الحروب المروعة .. فعادت الأرض إلى المخلوقات الأولى كالديناصور والتيروداكتيل ..
تنهد (شريف) وقال :
ـ أعتقد أنه يجب الاتصال بأبى .. وإبلاغه بكل هذا .

★ ★ ★

لم يندهش د. (عمر) .. ولا رائد الفضاء (أيمن) ..
فهما لم يقطعا أكثر من عدة كيلومترات فى الغابة ..
حتى وجدا الآثار المتزايدة لكل شىء ..
أسلحة مختلفة ..
اجتمع شمل الأربعة فى مركبة الاستكشاف العلمى (الرازى ـ ١) ..

وكانت أفكارهم تدور فى عقولهم ..
كالدوامات ..
ولكن ليس بأكثر مما حدث لهم ..
عندما ظنوا أنفسهم قد عادوا ملايين السنين ..
إلى الوراء ..
ولن تتغير خططهم طالما أنهم متشبثون بحب البقاء ..
أقبل عليهم الليل ..
وهم فى نصر ..
إذ كانت أمامهم فرصة ضئيلة ..
واحد فى الألف ..
ولكنها كافية ..
وتستحق المحاولة ..
فهناك دائما بريق الأمل ..
والرجاء ..
قال د. (عمر) وقد تصلبت عضلات جسده :
ـ تحت سطح الأرض .. بشكل ما .. توجد بقايا مدن عظمى .. وحضارة متقدمة ..
ربما لو نقبنا عنها .. فلسوف نجد مستودعا علميًا لأسرار الكون المجهولة لنا فى الوقت الحاضر .. ولعلنا نكتشف وسيلة لتطويع البعد الرابع .. أى الزمن .. لنا . وسيطرتنا عليه .. وتحديد التقوس الزمانى المكانى حيثما يوجد .. ونرجع إلى عالمنا الحقيقى !
جاء من الغابة زنير بعيد لوحش غير مرئى ..
وأدرك الأربعة .. فى نفس الوقت ..
أن الصراع سوف يطول ..
ربما لعدد كبير من السنين ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

حكم بالإعدام

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع سلطان الإبراهيمية - القاهرة - ت ٩٨٥٥٥٠

انتظارًا لعملية إنقاذه ..

كان رائد الفضاء (مدحت سالم) يقضى معظم وقته .. فى الردهة الرئيسية ..

شاهد من خلال زجاج غرفة جانبية .. أكثر من اثنى عشر جسمًا طافيًا ..جذب اثنان منهم انتباهه ..

بينما كان يتمشى مرتديًا زيّه الفضائى المغناطيسى ..

لم يكن بوسعه أن يقاوم النظر فى وجهيهما المنتفخين .. والمشوهين .. والقبيحين ..

كان واضحًا على كليهما ..

العلامات المعتادة للاختناق ..

ولكن بدا له أن هناك شيئًا آخر فى المرأة ..

ربما كان ذلك .. معرفتها بما حدث لها ..

بدت له طافية فى الفراغ .. ووجهها لأسفل ..

أما الرجل .. فكان على ظهره .. ويداه مفرودتان لأعلى ..

فى تضرع صامت إلى السقف المنحنى ..

وكان (مدحت) قد حطم الكرة التى أطلقت إشارات الخطر الآلية ..

والآن .. عندما سمع الصوت الكئيب للمرساة ..

وهى تضرب بعنف فى الجسم الخارجى لسفينة الفضاء ..

اتجه فى الحال .. إلى بوابة الدخول المغلقة ..

رأى الباب ينفتح ..

ويدخل منه أفراد طاقم الإنقاذ ..

ألقى إليهم التحية فى ضعف ..

من خلال وحدة الاتصال داخل خوذته الشفافة ..

وبعد عدة ساعات ..

كان فى محطة الفضاء (البيزونى) ..

وهناك من يساعده على خلع زيه الفضائى ..

ثم سقط (مدحت سالم) مغشيًا عليه ..

- ١ -

عندما استرد وعيه ..

كان المحقق يرتدى الزى الرسمى .. ويقف إلى جواره ..

قال المحقق باعتذار :

- أرجو المعذرة على قلة الأثاث .. فنحن عادة لا نستقبل إلا عددًا قليلًا من الزائرين .. وهم لا يبقون طويلًا ..

تريث قليلًا ثم استطرد قائلًا :

- ... لقد كانت تجربة شاقة لك .. أليس كذلك ؟

تنهد (مدحت) وهو يقول :

- أجل .. كانت تجربة شاقة جدًا !

- إننى لا أريد أن أجعل الأمور .. أكثر سوءًا .. ولكن هناك بعض الأسئلة أرجو أن تجيب عليها ..

أومأ (مدحت) برأسه ..

- تفضل .. إننى أشعر بتحسن الآن ..

جلس المحقق فى مقعد مجاور ثم قال :

ـ هل كنت تسافر وحدك ؟

نظر إليه (مدحت) وقال :

ـ كلا .. مع زوجتى ..

قال المحقق بتؤدة :

ـ أرجو أن تخبرنى بتفاصيل ما حدث ..

* * *

قال (مدحت) :

ـ لا شك أنك تعرف إجراءات الأمن المعتادة .. عند السفر فى الفضاء .. أولا الانطلاق بعيدًا عن الأرض .. وجميع الركاب عليهم أن يقوموا بإجراءات الطوارئ .. وهذا يشمل ارتداء أزياء الفضاء .. ولم أستطع أن أقوم بهذا مثل باقى الركاب .. فقد كنت أشعر بصداع نصفى لازمنى منذ انطلاقنا فى الفضاء .. منذ يومين .. ولذلك كان علىّ أن أرتدى زى الفضاء بمفردى ..

تريث للحظات ليستجمع أفكاره .. ثم أردف :

ـ ... حصلت على زى الفضاء .. وذهبت إلى مقصورتى لأرتديها .. وكما تعلم فإن المرء يشعر فى هذه الحالة .. كما لو كان يرتدى شيئًا عجيبًا هو فقط .. دون باقى الناس ..

هز المحقق رأسه مؤمنًا ..

وكانت يداه مضغوطتين أمام صدره ..

وأخذ يحكهما فى بعضهما ببطء ..

وهو يستمع ..

استطرد (مدحت) قائلًا :

ـ ... وفجأة أطفئت الأنوار .. ولكن ذلك لم يقلقنى .. لقد سافرت فى الفضاء من قبل .. لذا فقد خمنت ما حدث .. إنه توقف مفاجئ فى الطاقة .. وكنت أعرف أن لديهم مولدًا احتياطيًا .. سوف يعمل فى ظرف دقيقة أو دقيقتين .. تحسست طريقى من المقصورة إلى الممر الرئيسى .. سمعت الناس يتكلمون ويضحكون .. وامرأة واحدة تصرخ فى مكان ما .. ولكن بدا أن الجميع يفهمون ما حدث ..

وعندئذ حدث نوع من الاندفاع الشديد لسفينة الفضاء .. وسكنت جميع الأصوات .. وفى كل ثانية كنت أنحرف يمينًا ويسارًا .. دلفت إلى ردهة الانتظار .. حيث تركت زوجتى ..

أطرق (مدحت سالم) برأسه لعدة ثوان .. ثم أردف قائلًا :

ـ ... كان هناك ضوء كامل .. قادم من خلال النوافذ الشفافة .. ورأيت الناس معلقين فى الفضاء هنا وهناك .. وكانوا جميعًا .. موتى ..

ـ ٢ ـ

مسح (مدحت) قطرات العرق التى تجمعت على جبهته ..

ثم قال ببطء بصوت مفعم بالحزن :

ـ ... أسرعت إلى باقى أرجاء سفينة الفضاء .. أبحث عما إذا كان أى شخص ـ غيرى ـ على قيد الحياة .. ولكن للأسف لم أجد أحدًا .. فعدت إلى الردهة الرئيسية .. وهناك وجدت النيزك .. كان مغروسًا فى داخل

إحدى الأرانك الجلدية .. بينما تناثرت قطع من الزجاج المقوى فى كل مكان .. فجلست منتظرًا فريق الإنقاذ ..

صمت للحظات وتساقطت دموعه وهو يقول :

ـ .. لقد انتظرت طويلًا .. طويلًا جدًا ..

نظر إليه المحقق بعينيه الثاقبتين ثم قال بتؤدة :

ـ هل تعنى أن شيئًا ما أصاب أجهزة حماية السفينة من النيازك .. ولسوء الحظ فقد اصطدم أحد النيازك بالزجاج المقوى الذى يحيط بالردهة الرئيسية .. فاندفع الهواء من الداخل إلى الخارج فورًا .. وقد أنقذت لأنك كنت ترتدى زى الفضاء فى ذلك الوقت .. أليس هذا ما حدث ؟

أومأ (مدحت) برأسه فى بطء وقال :

ـ أجل ..

استطرد المحقق ..

ـ ما هى مهنتك ؟

ـ مهندس على متن محطة الفضاء (أحمس) ..

ـ هل كنت فى طريقك لقضاء إجازة .. فوق المريخ ؟

ـ أجل ..

قال المحقق بعد عدة ثوان :

ـ ولكنى أظن أن من يعمل فى محطات الفضاء .. يفضل قضاء الإجازات فوق كوكب الأرض !!

ـ زوجتى ألحت فى قضاء إجازة هذا العام .. فى مكان مختلف ..

تريث المحقق فترة ثم قال بحدة :

ـ إننى أقبض عليك .. وسوف تحاكم فوق كوكب الأرض ..

نهض (مدحت) من مكانه فزعًا وصاح قائلًا :

ـ بأية تهمة !

قال المحقق بتؤدة :

ـ قتل كل ملاحى وركاب سفينة الفضاء (ابن سينا) ..

ـ ٣ ـ

ابتسم المحقق وهو يقول :

ـ لقد كانت جريمة شبه كاملة يا (مدحت) .. على الأقل كان تخطيطها محكمًا .. من السهل جدًا فى أى محطة فضاء أن يأخذ أى شخص معه

نيزكًا بحجم مناسب .. لقد أخذته معك فى حقائبك .. ومعه بعض الزجاج المقوى بعناية .. وكانت لديك الفرصة لتنتقل هنا وهناك فى السفينة .. وأنت تدعى إصابتك بالصداع النصفى .. بحيث يكون لك العذر فى أخذ رداء فضاء معك إلى مقصورتك .. فى الوقت المناسب ..

صمت المحقق للحظات .. يراقب وجه (مدحت) الشاحب .. ثم أردف قائلًا :

ـ ... ثم تركت زوجتك فى ردهة الجلوس .. وفى نفس الوقت أخفيت مادة متفجرة بجوار النافذة ذات الزجاج المقوى .. ولا أدرى حتى الآن ما هى القنبلة التى أخفيتها .. ولكن كثيرًا من الأشياء سوف يدلنى على حقيقتها .. وعمومًا فإن إطارات النوافذ تجهز بشكل غير منتظم فى سفن الفضاء الناقلة للركاب .. ثم هبطت إلى مقصورتك وارتديت زى الفضاء .. وانتظرت حتى حدث الانفجار .. وبعد ذلك ذهبت مباشرة إلى غرفة مولد الكهرباء .. وعطلت المولد الرئيسى .. بحيث يبدو من المعقول تصور كيفية اقتحام النيزك لحواجز الوقاية .. ثم شغلت الإنذار الآلى .. ولم يتبق لك سوى أن تنثر بعض الزجاج المقوى المحطم .. فى أنحاء الردهة الرئيسية .. وتدخل النيزك الصغير فى الأريكة .. وإطلاق جرس الإنذار .. ولعلك قمت بكثير من الحسابات على الكمبيوتر لهذا الأمر وحده .. مثل مسار وزاوية سقوط النيزك ودرجة الارتطام وغيرها ..

رد (مدحت) ببرود :

ـ يبدو أن خيالك خصب ياسيادة المحقق !

استطرد المحقق بسرعة .. وكأنه لم يسمع ما قاله (مدحت) :

ـ .. كانت المشكلة أنك أوليت اهتمامًا كبيرًا جدًا بالجريمة .. لأن حياتك متوقفة عليها .. ولكى تكون فى جانب الأمان .. فقد ارتديت زيك الفضائى قبل الموعد المحدد للانفجار بوقت طويل .. ربما عشر دقائق .. وقبل أن ترسل الإنذار الذى سيستدعى النجدة لك .. كان عليك أن تصلح المولدات الرئيسية .. إذ أنك مهندس .. وضيع منك هذا وقتًا كثيرًا .. صدر الإنذار الساعة الخامسة وسبع دقائق .. والتقطناك نحن الساعة العاشرة وتسع وخمسين دقيقة صباحًا .. فقد كان علىّ أن أسجل الوقت على الكمبيوتر الرئيسى .. ولكننى لاحظت شيئًا آخر أيضًا ..

تريث المحقق لبرهة ثم أردف قائلًا :

ـ .. فكل عبوة أكسوجين على رداء الفضاء تستمر لمدة ساعة واحدة بالضبط .. فإذا كنت قد ارتديت الرداء لتوك وقت الانفجار .. فلابد أنك كنت قرب نهاية عبوتك السادسة .. ولكنك لم تكن كذلك فعلًا ..

فقد كنت تستعمل عبوة الأكسوجين السابعة ..

ابتسم (مدحت) وقال فى تحد :

ـ إذا كان هذا كل ما فى الأمر !.. فإننى أعترف بخداعك بخصوص طول المدة التى ارتديت فيها زى الفضاء .. عندما اصطدم النيزك بالسفينة .. إذ كان علىّ أن أرتديها لمدة ربع ساعة .. فأنا مدمن على استخدام الأكسوجين .. وقد أخذت العبوة من محطة الفضاء التى أعمل بها .. إن المرء لا يحب أن يعترف بأشياء مثل هذه .. حتى فى الظروف التى أمر بها !

نظر إليه المحقق طويلًا .. ثم قال ببطء :

ـ لا شك أنك عادة ما تفكر بسرعة .. أليس كذلك ؟ .. ولكنك فكرت

متأخرًا قليلًا هذه المرة .. لن هذا فقط جعلنى أشك فيما حدث .. وقد تصرفت بناء على هذا الشك .. وحصلت على الدليل الذى أبحث عنه ..

فقبل أن ترفع سفينة الفضاء (ابن سينا) من مدارها .. طلبت من بعض مساعدى أن يتفحصوا الفضاء خارج النافذة المحطمة .. بالطبع تناثرت شظايا كثيرة فى الفضاء .. ولكنهم وجدوا قليلًا منها فقط ..

فتح درجًا بمكتبه .. وأمسك بقطعة زجاج مقوى مكسورة .. واستأنف حديثه قائلًا :

ـ ... لكنها كانت كافية .. لتوضيح أن ما حدث .. كان انفجارًا من الداخل إلى الخارج .. وليس انفجارًا من الخارج إلى الداخل .. إن هذا مؤكد .. مؤكد تمامًا ..

فجأة نهض (مدحت) وقال بقمة انفعاله :

ـ لقد سئمت عصبية زوجتى .. وشجارها الدائم معى .. لست صغير السن لأتحمل كل هذا .. انتهزت فرصة إصرارها على قضاء الإجازة فوق كوكب المريخ .. وخططت لجريمتى بكل دقة .. فأنا أحب فتاة أخرى .. أصغر سنًا ..

قاطعه المحقق :

ـ ليس بما يكفى لتهرب من العقاب يا (مدحت) .. إن الجريمة الكاملة لم تحدث بعد .. ولن تحدث ..

ضغط على زر أحمر على مكتبه ..

وبعد عدة ثوان .. كان رجال الأمن يحيطون بالحجرة ..

قال المحقق بحدة :

ـ خذوه .. ليحاكم فوق كوكب الأرض .. على هذه الجريمة البشعة ..

ـ ٣ ـ

كان القضاة .. مجموعة من الروبوتات العملاقة ..

يعملون بتحكم كمبيوتر فائق ..

وبعد صدور الحكم بالإدانة .. مباشرة ..

اقتيد (مدحت سالم) إلى زنزانته ..

وأخذ يحملق فى الجدار الخالى ..

ويستمع إلى الحكم المنطوق .. بكلمات آلية محددة .. والذى يصدر من صندوق أسود صغير .. موجود فى منتصف سقف الزنزانة ..

كان الصندوق يقول بعبارات جامدة :

ـ لقد ثبتت إدانتك يا (مدحت سالم) .. من مجموعة الأدلة ضدك .. واعترافك بالقتل العمد .. جريمة بشعة لم تعرف بين الناس منذ أكثر من مائة عام ..

وأقصى عقوبة يمكن توقيعها .. سوف تكون خفيفة مقارنة بجريمتك .. فبدافع أوهامك قررت قتل زوجتك .. ولكى تحقق هدفك هذا .. لم تتردد فى قتل ستة وسبعين شخصًا .. لقد ارتكبت هذه الجرائم الإضافية لمجرد حماية نفسك .. من نتائج الجريمة الأصلية .

وأدرك (مدحت) أنه مهما قال فلن يغير شيئًا من الصوت الذى يصدر من فوقه ..

لأن الدائرة الإلكترونية .. كانت تعمل فى اتجاه واحد فقط ..

وأى كلمات يقولها ..

سوف يسمع صداها فقط .. فى أرجاء زنزانته الضيقة ..

استمر الصوت الآلى يقول :

ـ ... لقد ألغى حكم الإعدام فى أوائل القرن الحادى والعشرين .. عقب الحرب النووية .. والفوضى الهمجية التى سادت بعدها .. ولكن القتلة مازالوا موجودين .. ويجب الحكم عليهم بالسجن لفترات طويلة .. طالما كانوا عبئًا على بقية أفراد المجتمع .. كان ذلك أمرًا غير مقبول .. ومن ثم حاول المسئولون أن يصححوه .. ووصلوا فى النهاية إلى اكتشاف وسيلة السفر عبر الزمن ..

أعيدت عليه الكلمات عدة مرات دون رحمة ..

فقد كانت جزءًا من العقاب النفسى ..

ولم يكن فيها جديد بالنسبة له ..

لكن هذه الفقرة .. كانت مبرمجة داخل الروبوت ..

منذ مائة وخمسين سنة مضت ..

بحيث يردده تلقائيًا لكل مجرم .. منذ ذلك الحين ..

يصدر ضده حكم بالنفى المؤقت ..

ولم يهتم أحد بتغيير هذه البرامج ..

كما أصبح معروفًا لدى الجميع ..

أن السفر فى المستقبل مستحيل ..

أما السفر فى الماضى فكان ممكنًا ..

والرحلة تكون فى اتجاه واحد فقط ..

إلى الزمن الماضى ..

لأن الرجوع إلى الحاضر من الماضى ..

يعنى السفر إلى المستقبل !

ولهذا السبب فإن السفر فى الزمن .. ليس مفيدًا للإنسان إلا فى اتجاه واحد فقط ..

وهو يعد وسيلة لتخليص المجتمع ..

من أولئك الذين أثبتوا عدم جدارتهم لأن يكونوا أفرادًا فيه ..

★ ★ ★

توترت أعصاب (مدحت سالم) ..

لأن الحيثيات سرعان ما تنتهى ..

ويأتى بعد الحكم الصادر ضده ..

وكان يعرف شيئًا ما .. من المتوقع حدوثه ..

عاد الصوت الآلى يقول :

ـ ... الواضح أن هذا شكل من العقاب الثابت .. وهناك بعض فترات التاريخ التى تكون أقل سوءًا من غيرها .. من ناحية نفى الإنسان إليها .. فهناك مثلًا فترة العصر العباسى الأول فى القرن الثامن الميلادى .. وهى حقبة هادئة .. وتتيح الفرصة لإنسان الحاضر .. أن ينجح ويتقدم ..

لو أمكنه التأقلم مع هذه البيئة .. ويرسل إلى هذه الفترات الأشخاص غير المنسجمين مع مجتمعاتهم .. أو غير المستقيمين .. الذين تكون مستوياتهم الإجرامية صغيرة .. أو ذات طبيعة يمكن أن توجد لها أعذار إلى حد ما ..

تريث الصوت الآلى قليلا ثم أردف :

ـ ... لقد أصبح السفر فى الماضى .. هو وسيلة العقاب فى القرن الثانى والعشرين .

تساءل (مدحت) فى نفسه :

ـ ما الذى سيحدث لى ؟

قال الصوت الآلى .. وكأنه يجيب على تساؤله :

ـ الفترة الزمنية .. تناسب الجريمة .. إن هذا هو الحق والعدل ..

توقف الصوت ..

بعد أن زاد انفعاله المبرمج ..

ويتحول الصوت من الشريط الإلكترونى ..

إلى الحديث المباشر للقاضى الآلى .. الذى قال بتؤدة من يصدر حكمًا :

ـ إن جريمتك فظيعة وبشعة .. بحيث لا نجد لها نظيرًا فى سجلاتنا .. وبقدر إمكاننا فإن عقوبتك سوف تتناسب معها .. وفى حالتك بالذات .. لن نخبرك مقدمًا بوجهتك التى ستنفى إليها .. سواء فى الزمان أو المكان .. والتى اخترناها لك ..

صرخ (مدحت) .. يخاطب الصندوق الأسود :

ـ لماذا لا تخبرونى ؟ أيتها الآلات الصماء .. لماذا لا تخبرونى ؟

ولكن لم يسمعه أحد ..

يمكنه الرد عليه ..

ـ ٤ ـ

ارتفع الصوت قليلا .. من الصندوق الأسود .. وبدأ أكثر آدمية :

ـ من هذه اللحظة .. سوف يلفظك هذا العصر .. لن ترى أبدًا أى إنسان من القرن الثانى والعشرين .. بعد عدة دقائق .. سوف تخدر بغاز يطلق داخل زنزانتك .. وبأجهزة التأقلم سيتم تهيئتك للعصر الذى سوف تسافر إليه عبر نفق الزمن .. لن تتمكن من إبلاغ أهل ذلك العصر عن المستقبل .. سترتدى ملابس ذلك العصر .. وتتقن اللغة المستخدمة ..

تريث صوت القاضى الآلى للحظات ثم أردف :

ـ ... سوف توضع فى آلة الزمن .. وأنت مخدر .. وعندما تستيقظ .. ستجد نفسك فى الماضى .. وستظل لديك ذكرياتك الحاضرة .. وبمجرد أن تدرك الزمان والمكان الذى تعيش فيه .. سوف تعرف من معلوماتك التاريخية ما الذى يجب عليك أن تتوقعه ..

أراد (مدحت) أن يصرخ مرة أخرى ..

ويعترض بأنه من غير العدل .. ألا يعلم مقدمًا أى شىء ..

عن العصر الذى سينقل إليه .. بآلة الزمن ..

ولكن الأعصاب الفولاذية التى مكنته من التفكير فى خطته .. وتنفيذها ..

كانت ما تزال لديه ..

وعمومًا فسرعان ما يعرف ما يجهله الآن ..

حدق إلى السقف ..

ناظرًا إلى الصندوق الأسود ..

وفى هذه اللحظات .. جاء مرة أخرى الصوت الآلى .. قاطعًا .. قاسيًا .. حادًا :

ـ (مدحت سالم) .. إن القرن الثانى والعشرين .. لا يريدك .. وسوف تنام الآن ..

وبينما كان ما يزال يحدق فى الصندوق الأسود ...

سمع صوت الصفير الخافت .. الناجم عن انتشار الغاز المخدر فى الزنزانة .. من خلال صمامات الدخول ..

تنفس (مدحت) الرائحة اللاذعة المميزة ..

وأحس بدوار شديد ..

ثم لم يلبث أن استغرق فى نوم عميق ..

وهو يعلم أنه عندما يستيقظ ..

سوف يكون فى زمن آخر ..

ـ ٥ ـ

فتح (مدحت) عينيه بسرعة .. ونظر حوله ..

وعرف فى دقائق ..

أنه يعيش فى العصر الرومانى ..

طراز المبانى ..

الملابس التى يرتديها السكان ..

والتماثيل الشاهقة .. للقادة والمسئولين ..

نهض فى تثاقل ..

يتأمل البيئة ..

وما كاد يسير عدة خطوات .. حتى سمع صوتا أصابه بالرعب ..

هزة أرضية خفيفة ..

نظر إلى الأفق ..

ورآه هناك ..

بركان هائل ..

وعرف اسمه فورًا ..

بركان فيزوف ..

وصرخ بلا وعى ..

وهو يركض بملابسه الرومانية .. فى الطرق الصخرية ..

قال بصوت هستيرى :

ـ إنه عام ٧٩ قبل الميلاد .. وهذه مدينة بومبى .. سوف يثور بركان فيزوف بعد قليل .. ستحدث تشققات وأصوات وهزات أرضية خفيفة .. ثم يحصل بعدها تمدد كبير للغازات المحبوسة .. فتحدث انفجارات عنيفة .. ينتج عنها طفوح بركانية .. تغطى المدينة كلها بالغازات والرماد .. لن ينجو أحد ..

أخذ (مدحت) يبكى ..
وهو يدرك أن عقاب القرن الثانى والعشرين ..
أن يدفن القاتل .. تحت رماد مدينه بومبى ..
وفوقه طبقة من الرماد البركانى ..
يزيد سمكها عن ستة أمتار ..
ازدادت ثورة بركان فيزوف ..
وبدأ فى إزالة الصخور المتراكمة عند فوهته القديمة ..
صاحبها ضوضاء وأصوات ودوى ..
لم يعرف مثلها فى التاريخ ..
ثم بدأت الصخور والأتربة وأنهار الحمم الملتهبة ..
تنحدر متدفقة نحو مدينة بومبى ..
وقبل أن يغمره الطوفان النارى ..
أدرك (مدحت سالم) أن كل من يرتكب جريمة ..
سوف ينال ـ بطريقة ما ـ العقاب الذى يستحقه ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

استعراض النصر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

جاءت أخبار استسلام العدو .. بفرحة عمت المدينة كلها لعدة أيام ..
قبل استعراض النصر ..
خرجت الفتيات بأعداد كبيرة على طول البقايا المهدمة للطريق
الواسع .. يلتقطن الأحجار بقوة وتصميم .. وانهماك ضاحك .
فى المرح الذى يحدث فى عنابر النوم ..
وعندما جاء صباح استعراض النصر ..
اجتمع جميع العاملين فى شركة (الأمل) ..
داخل واحد من بضعة مبانى باقية .. لمكاتب العمل ..
لم يهتم أحد بالحضور للعمل فى هذا اليوم ..
لأن الطوابق الأربعة الباقية لشركة (الأمل) ..
سوف تعطى أفضل منظر فى المدينة كلها ..
لموكب النصر ..
بدأت الفتيات فى الوصول مسرعات فى التاسعة صباحًا ..
واحتشدن فى مجموعات منفصلة حول المكاتب ..
ومبردات المياه .. ذات الدروع الرصاصية ..
وآلات إعداد القهوة الجاهزة ..
ولم يكن يتكلمن إلا عن استعراض النصر ..

★ ★ ★

كان رائعًا حقًا .. منظر الفتيات فى تلك الصباح ..
فقد خرجت أفضل ملابسهن من دواليبها ..
وأجريت لها عمليات الحياكة والتجميل والإصلاح ..
بحيث أصبحت فى أجمل صورة ..
بعد أن توقفت كل مصانع النسيج بسبب الحرب ..
أما الفتيات اللاتى كن محظوظات لحفظهن لأصابع الشفاه .
فقد تفوقن بكثير على الأخريات ..
ذوات الأنابيب الرصاصية الصغيرة .. الكئيبة ..
والشمع الأحمر ..
كان استعراض النصر .. عرسًا للجميع .
حتى أن السيدة الوقور .. المشرفة على الطباعة على الآلة الكاتبة
اليدوية ..
رضيت بوضع قليل من مواد التجميل ..
على شفتيها الجافتين ..
بل تحاملت على نفسها ..
وبالرغم من ساقيها المشوهتين بسبب الإشعاعات ..
ابتسمت للفتيات ..
وأما الفتاة الصغيرة .. ذات الوجه الدقيق على شكل القلب ..
والتى وقفت وحيدة بالقرب من أحد أركان المبنى ..
فقد كانت بدون سمات مميزة ..
بسبب حروق الإشعاع ..
التى انتشرت فى أول أيام الحرب ..

لقد رفضت وضع أى أحمر شفاه ..
ولكنها استسلمت تمامًا لإحدى صديقاتها ..
لكى تصفف لها شعرها بطريقة حاذقة ..
عرف الجميع أن هذا اليوم .. سيكون يومًا غير عادى ..
وعندما جاءت رئيسة مجلس إدارة شركة (الأمل) .. وهى مرتدية ثوبًا مزينًا بالزهور الحمراء .. والصفراء ..
بدلًا من الثوب الرمادى الكئيب ..
الذى ظلت ترتديه منذ بدأت الحرب ..
كان يومًا رائعًا حقًا ..
برغم السماء الرمادية .. التى غطتها الأدخنة التى تخلفت عن العمليات الحربية ..
وأطلق عليها .. الشتاء النووى ..
إذ حجبت ضوء الشمس ..
لم تسمع أصوات سعيدة بمثل هذه الكثرة ..
فى مقر شركة (الأمل) ..
منذ ألقيت القنابل النووية الأولى ..
التى حطمت معظم المبانى ..
ونشرت الإشعاعات فى كل مكان ..
ولكن كل ذلك انتهى الآن ..
حيث تشق القوى المنتصرة طريقها .. إلى بلادها ..
بعد سبع سنوات رهيبة ..

* * *

لم تكن هناك أى أوراق بالطبع ..
حيث اختفت الأشجار التى تصنع منها ..
ولكن توافرت دفاتر الهاتف السميكة القديمة ..
التى أصبحت لا قيمة لها بسبب التوقف التام للخدمة الهاتفية ..
وبدأت الفتيات تقطعن صفحاتها العديدة ..
إلى آلاف القطع الصغيرة التى تطير بسهولة من نوافذ شركة (الأمل) ..
كن مرحات للغاية ..
وزادت إثارتهن كلما مرت دقيقة وراء أخرى ..
فقد كان هناك الكثير من النوافذ .. التى يمكن المشاهدة من خلالها ..
بحيث لا يفوت أى فرد شىء من المناظر الرائعة فى الطريق الطويل ..
أمام المبنى ..
وفى الساعة العاشرة والنصف ..
انسابت فى داخل المكاتب مقطوعات عسكرية خافتة ..
وصلت مسرعة وحادة إلى النوافذ ذات الزجاج المكسور ..
وعلى البعد .. كان يمكن مشاهدة مجموعة السفن الحربية .. فى الحوض المنشأ حديثًا ..
بالقرب من الميناء القريب ..
كان من المقرر أن يخرج أفراد الموكب مباشرة .. من الرصيف البحرى ..
تتقدمهم الشاحنة الموسيقية .. وبها شرائط جيدة العزف ..
حيث أن الفرق الموسيقية العسكرية ..

قد اعتبرت ترفًا لا لزوم له ..
فى السنة الثانية للحرب ..
ثم بدأ استعراض النصر ..

★ ★ ★

جاء أولًا هدير الدبابات الآلية الضخمة ...

والدانات السوداء الهائلة .. ذات المحركات الأيونية ..
التى يتحكم فيها الروبوتات ..
والأسلحة المدببة من الأمام ..
المنتصبة لأعلى من كل جانب منها ..
وتحركت هذه الدبابات ببطء بدون قائد موجه لها .. بشكل رائع على طول الطريق المتسع ..

ومنظرها ينم عن العظمة والكبرياء ..
ثم أقبل حشد ضخم من المدفعية الذرية ..
التى يتم التحكم فيها إلكترونيًا ..
ومواسير مدافعها المستدقة ..
تتلألأ فى ضوء شمس الصباح .. الخافت ..
بعد هذا .. أقبلت منصات إطلاق الصواريخ .. وشحناتها المدمرة محمولة فى صفوف منسقة لامعة ..
ورءوسها النووية تتجه فى تحد إلى السماء الرمادية ..
ثم ظهرت المقذوفات الموجهة ..
آلاف من الأسلحة الانسيابية .. محمولة على منصات الشاحنات التى تشغلها الروبوتات المتطورة ..
وهى عبارة عن رسل صغيرة مميتة ذات قوة تدمير إلكترونية ذاتية ..
مجموعة رائعة من الصواريخ الحديثة ..
بعد ذلك .. حلقت الطائرات المقاتلة ..
وهى تصرخ فى الفضاء ..
وتنشر ذيولًا نفاثة بيضاء .. ناصعة ..
وتحطم طبقة الأوزون ..
عبر السماء التى تحتضنها ..
وتصنع سحبًا فى أماكن لم يكن فيها من قبل ـ منذ زمن طويل ـ سوى زرقة السماء المعتادة ..
حافظ عليها فى مسارها .. الروبوتات .. ملاحوها الآليون .. فوق موقع الاستعراض ..

اشرأبت أعناق النساء فى نوافذ المكاتب ..
لرؤية الطائرات الرائعة بهياكلها الرشيقة ..
وأجنحتها الفضية المنسابة للخلف ..
واستمر سير الموكب ببطء .. وإصرار ..
لمختلف أنواع الأسلحة الفتاكة ..
والنسوة يلاحظنها .. ويهللن لها .. ويصحن ..
ويلقين عليها وابلا من الكرات الورقية فى الهواء ...
وفى إحدى النوافذ بدأت الفتاة الصغيرة .. ذات الوجه الدقيق على شكل قلب .. فى البكاء ..
ولكن لم يلتفت إليها أحد ..
وفى النهاية مرت الأسلحة من أمام نوافذ مبنى شركة (الأمل) ..
اشتدت الإثارة مرة أخرى ..
وبدأت الموسيقى العسكرية تخبو ..
ثم تلاشت تمامًا ..
وهى تغادر المدينة ..
التصقت النساء والفتيات أكثر بالنوافذ ..
لمشاهدة ما تبقى من الموكب المهيب ..
استعراض النصر ..
انتظرن .. وتوترت أعصابهن من الانتظار ..
بدأ بعضهن فى الضحك ..
ولكنها كانت ضحكات جوفاء .. بلا معنى ..

ثم ساد الصمت ..
وضح أن رئيسة مجلس الإدارة .. توشك أن تفقد رباطة جأشها ..
فقد طلبت من الفتاة الصغيرة .. أن تكف عن البكاء ..
بينما كانت عيناها الكليلتان .. مثبتتين على الطريق بأسفل ..
فجأة .. بدا أن كل شىء سوف يفسد ..
والحالة النفسية التى سادت فى بداية اليوم ..
ظهر أنها تبددت أيضًا ..

★ ★ ★

انتظرت النساء والفتيات بجوار النوافذ مدة طويلة ..
حتى أدركن أن الموكب قد انتهى ..
وبالطبع كان هذا شىء يصعب تصديقه ..
لقد حدث أمر ما بطريقة خاطئة تمامًا ..
صعوبة .. أو مشكلة فنية طارئة .. عند الرصيف البحرى ..
خلل ما .. أو ارتباك فى الجيش ..
لابد أن ذلك ما حدث ..
تساءلت إحدى الفتيات فى وجل :
ـ لقد تم استعراض رائع للأسلحة .. ولكن الموكب لم ينته .. أليس كذلك ؟.
لم يرد عليها أحد ..
فقد كانت الحيرة .. والقلق .. فى كل العيون ..
ثم ساد الهدوء مرة ثانية ..

وطارت بعض الكرات الورقية الأخيرة .. دون ضوضاء ..
لتنضم إلى النفايات الموجودة فى الطريق المتسع ..
وأدركن أخيرًا .. أن استعراض النصر ..
قد انتهى تمامًا ..

قالت فتاة ذات شعر أسود فاحم .. وعينين واسعتين .. وبشرة سمراء عاجية :

- أين الرجال ؟.. إن هذه مجرد آلات .. وروبوتات .. ألم يرجع الرجال بعد ؟

سألت رئيسة مجلس الإدارة بصوت مفعم بالحزن :

- أين المقاتلون ؟.. أين الرجال ؟

ووضعت يدها على حلقها .. وشهقت ..

قالت الفتاة الصغيرة من بين دموعها :

- لم أر الرجال مع الأسلحة ! أين ذهبوا ؟

واستمرت النساء والفتيات يسألن .. فى كل طوابق شركة (الأمل) .. :

- أين الرجال ؟.. أين الرجال ؟

وانتشر هذا السؤال .. عبر المدينة المهدمة كلها ..
مثل طنين الحشرات الغاضبة ..
وظل .. بلا إجابة !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

سر أبى الهول

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

- ١ -

تدافعت السحب المنخفضة فى السماء وقت الغسق ..

وكان هناك بعض قطرات المطر شبه المتجمد منتشرة فى الهواء البارد ..

وعندما فتح الدكتور (عزمى شاهين) باب كابينة الشاحنة ..

دفعته الرياح القوية القادمة من ناحية الأهرامات الثلاثة ..

والمندفعة بلا هوادة عبر الطريق الرملى القصير .. إلى أبى الهول ..

خرج المهندس (بكر سالم) على أثره .. وهو يحاول أن يقاوم الرياح ..

وبين يديه صندوق خشبى كبير .. وضعه على الأرض بصعوبة ..

فى المكان المستوى بين قدمى أبى الهول ..

قال الدكتور (عزمى شاهين) بدهشة :

ـ أمر غريب .. أن يترك هذا الأثر التاريخى دون حراسة !

رد المهندس (بكر) :

ـ ألم نأخذ تصريحًا من مصلحة الآثار بإجراء التجربة ؟

قال الدكتور (عزمى) وهو يسرع إلى البوابة الحديدية الملاصقة لتمثال أبى الهول :

ـ حقًا .. إن علينا أولًا محاولة اختيار المكان المناسب .. لوضع آلة الزمن .. والآن .. علىّ أن أستخدم هذا المفتاح ..

فتح قفل البوابة .. ثم أزاحها جانبًا فأحدثت صريرًا حادًا بسبب عدم تزييت مفصلاتها .. وشرع فى مساعدة المهندس (بكر) فى حمل الصندوق داخل السور الحديدى .. ثم عادا لينظرا إلى أبى الهول ..

ففى المساء الشتوى .. وتحت السماء المنخفضة .. بفعل السحب القاتمة ..

تكون هذه هى الطريقة الوحيدة لرؤية أبى الهول ..

عندما يتمدد السهل منبسطًا فوق سطح الأرض ..

ويندفع من كل اتجاه إلى الأفق البعيد حيث الأهرامات الثلاثة ..

ويصبح تمثال أبى الهول بابتسامته الغامضة .. وشموخه .. ولونه الرمادى المكتسب هو الوحيد القادر على مناطحة السحاب ..

ومقاومة الزمن ..

رمز للقوة والزهو ..

عظمة قدماء المصريين ..

أصل الحضارة ..

تقدم المهندس (بكر) وهو ينثنى بسبب الرياح .. صاعدًا إلى يمين التمثال :

ـ إنه دائمًا أكبر مما توقعنا ..

لم يجبه الدكتور (عزمى) .. ربما لأن ما قاله صحيح ..

عاد المهندس (بكر) يتحدث بصوت خفيض :

ـ ... وسوف يظل دائمًا تمثال أبى الهول .. لغزًا غامضًا .. من الذى أنشأه ؟ ولماذا ؟ ومتى ؟

قال الدكتور (عزمى) وهو يتنهد :

ـ سرعان ما نعرف كل شىء .. فمعنا آلة الزمن ..

رد المهندس (بكر) بصوت مفعم بالأمل :

ـ نظرية جديدة ! إن أحجار الآثار القديمة دائمًا تحكى أسرارًا عن الماضى ..

ـ ٢ ـ

بعد عدة ساعات .. بدأ الليل يرخى سدوله .. وخفت حدة الرياح .. فتعاونا معًا .. لإحضار الصندوق الخشبى من داخل السور ..

ووضعه على ربوة بجانب تمثال أبى الهول ..

قال الدكتور (عزمى) .. وهو يفتح الغطاء ويكشف عن جهاز صغير ومعقد .. مركب على حامل ذى ثلاث أرجل من الألومنيوم .. وفى أعلى الجهاز كاميرا دائرية دقيقة .. تعمل بالأشعة تحت الحمراء .. للرؤية الليلية ..

قال د. (عزمى) :

ـ إننا نتصدى للمشاكل حيثما نصادفها .. وليس لدى أى نظريات جاهزة عن أبى الهول .. وأنا هنا للكشف عن أسراره الغامضة ..

ثم فتح أرجل الجهاز .. واستطرد قائلًا :

ـ ... لقد صنعنا آلة الزمن فى معهد القاهرة للتكنولوجيا ..

قال المهندس (بكر) بصوت مفعم بالدهشة :

ـ هل هذه الآلة تسافر عبر الزمن ؟

رد د. (عزمى) بسرعة :

ـ ليس بالضبط .. ولكن بطء مرور الزمن هو تعبير يصف الموضوع بشكل أفضل .. إن الآلة تقف مكانها .. ولكنها تحرك كل شىء خارجها .. لقد اخترقنا خمسة آلاف عام كاملة فى الماضى .. بهذه الآلة عندما كنا نجربها !

فكر المهندس (بكر) قليلًا ثم قال بتؤدة :

ـ إذا كانت الآلة تقف مكانها ولا تتحرك .. فإن ذلك يعنى أن الزمن يسير إلى الخلف !

نظر إليه د. (عزمى) لثوان .. ثم قال :

ـ ربما يكون الأمر كذلك .. هل يمكنك إيضاح الفرق ؟!

تريث لبرهة ثم استطرد قائلًا :

ـ ... والآن أعتقد أننا جاهزان للبدء ...

ضبط د. (عزمى) وسائل القياس والتحكم فى جانب آلة الزمن .. ثم ضغط على زر أحمر فى ركنها الأيسر ..

ورجع إلى الوراء عدة خطوات ..

صدر من أعماق آلة الزمن .. أزيز سريع ..

نظر المهندس (بكر) إلى الآلة فى ذهول ...

قال د. (عزمى) مفسرًا الأمر :

ـ إنه عداد الزمن .. وليس من الأمان أن تقترب كثيرًا من الآلة ..

وهى تعمل ..

توقف الأزيز ..

وأعقبه صوت طنين حاد ..

إختفت بعده آلة الزمن تمامًا ..

ـ ٣ ـ

قال د. (عزمى) مبتسمًا :

ـ لن يستغرق ذلك طويلًا ..

عادت آلة الزمن للظهور بمجرد أن انتهى من كلامه ..

ثم سقطت فى يده صورة لامعة ملونة .. من إحدى فتحات الآلة ..

عندما لمس ظهر الجهاز ..

أراها للمهندس (بكر) .. وقال فى إعجاب :

ـ إنه تشغيل اختبارى فقط .. لقد أرسلت آلة الزمن إلى عدة ساعات مضت ..

فى الماضى ..

وبرغم أن الكاميرا كانت موجهة إليهما ..

لم يظهر أى من الرجلين فى الصورة ..

وبدلًا من ذلك .. فقد أظهرت الصورة فى الضوء الرمادى الفاتح ..

بسبب الضوء الساقط ..

منظرًا على طول السهل الممتد أسفل تمثال أبى الهول ..

وتظهر شاحنتهما الواقفة .. كمجرد مربع دقيق ..

ومن أبوابها الخلفية ..

ظهر د. (عزمى) والمهندس (بكر) .. وهما يخرجان الصندوق الخشبى الكبير ..

قال المهندس (بكر) بإعجاب :

ـ إن هذا مثير حقًا !

معترفًا بالحقيقة التى صدمته ..

ثم استطرد قائلًا :

ـ .. إلى متى فى الماضى يمكنك أن ترسل هذه الآلة ؟

فكر د. (عزمى) قليلًا ثم قال بتؤدة :

ـ يبدو أنه لا حدود لذلك .. ولكنه يعتمد فقط على مصدر الطاقة .. وهذا الطراز من آلات الزمن .. مزود ببطاريات من النيكل والليثيوم .. ويمكنه الرجوع إلى نحو عشرة آلاف سنة قبل الميلاد !

تساءل المهندس (بكر) فى دهشة :

ـ والمستقبل !

نظر إليه د. (عزمى) بعينين متعبتين وقال :

ـ إنه كتاب مغلق لا نستطيع أن نخترق آفاقه ..

ثم أخرج مذكرة صغيرة من جيبه الخلفى .. وقلب صفحاتها ثم ضبط عدادات آلة الزمن مرة أخرى ..

وقال وهو منهمك فى قراءة العدادات :

ـ هذه هى التواريخ المثلى .. حوالى الزمن الذى يظن فيه المؤرخون أن أبا الهول قد شيد فيه .. أى منذ نحو خمسة آلاف سنة .. إننى أقوم بالضبط المتعدد لعدة تواريخ أخرى محتملة .

قام د. (عزمى) بأكثر من عشرين عملية ضبط ..

مما احتاج لها كثيرًا جدًا .. للقرص المدرج فى جانب آلة الزمن ..

وبعد انتهائه من ذلك ..

شغل أداة التوقيت ..

وابتعد عن الجهاز بعدة خطوات ..

★ ★ ★

هذه المرة .. كان رحيل آلة الزمن .. أكثر إثارة !

فقد اختفت بسرعة كبيرة ..

ولكنها تركت وراءها نسخًا مضيئة مماثلة لها تمامًا ..

فى مسار فضى .. ومُاض ..

يسهل رؤيته فى الظلام المتزايد ..

قال المهندس (بكر) مشدوهًا :

ـ هل ذلك طبيعى ؟!

رد د. (عزمى) وهو يزوى ما بين حاجبيه :

ـ أجل .. ولكن للقفزات الزمنية الكبيرة فقط .. لا نستطيع أن نتأكد تمامًا ..

ولكننا نسميه (الصدى المؤقت) .. ونظريته أنه نوع من الرنين فى الزمن .. بسبب الرحيل المفاجئ للآلة .. وهو يخبو فى فترة لا تزيد على دقيقتين ..

وقبل أن يختفى الوهج الفضى تمامًا ..

عادت آلة الزمن نفسها ..

وظهرت فى مكان صداها الطيفى ..

حك د. (عزمى) يديه بعضهما ببعض ..

ثم ضغط على زر الطبع ..

قرقعت آلة الزمن استجابة لذلك .. ثم أخرجت شريحة طويلة ملونة من المطبوعات ..

نظر إليها د. (عزمى) ثم قال بخيبة أمل :

ـ ليست جيدة كما توقعت .. فزاوية التصوير غير مناسبة .. ولكن لا يوجد الكثير مما يمكن عمله ..

كان هناك ما يكفى تقريبًا .. لإيقاف قلب أى عالم آثار ..

بسبب المعلومات التاريخية المذهلة !

صورة وراء أخرى .. لأحجار البناء الضخمة .. من الجرانيت والمرمر ..

واقفة بقوة .. واكتمال ..

قال المهندس (بكر) .. بينما ترتسم على وجهه انفعالات وإثارة :

ـ أحجار كثيرة هنا .. بدون أى إشارة للناس الذين بنوا أبا الهول !.. أو ما يبين متى تم تشييده !

قال د. (عزمى) وذهنه شارد .. وما زال مصعوقًا من الصور :

ـ إن الأمر يحتاج لتجربة أخرى !

لف القرص المدرج .. وضغط على الزر الأحمر ..

واختفت آلة الزمن مرة أخرى ..

كانت الصور هذه المرة أكثر إثارة ..

ظهر فيها مجموعة من قدماء المصريين بزيهم التقليدى ..

اجسام سمراء قوية .. طويلة القامة .. مفتولة العضلات ..

كانوا يمارسون طقوسًا معينة ..

ويسجدون لشىء ما ..

لم تبينه الصورة ..

ضحك د. (عزمى) وقال :

ـ لقد نجحنا حتى الآن .

ثم لف آلة الزمن فى نصف دائرة ..

بحيث واجهت الناحية المضادة ..

واستطرد قائلًا :

ـ .. مهما كان ما يعبدونه .. فإنه وراء الكاميرا .. وسوف ألتقط صورة له .. لأتمكن من تكوين فكرة جيدة .. عما دعاهم لبناء تمثال أبى الهول !

قال المهندس (بكر) متلهفًا :

ـ هل سنكتشف الآن سر تمثال أبى الهول ؟

نظر إليه د. (عزمى) بعيون شاردة وقال بصوت هامس :

ـ أرجو هذا ..

كانت الصورة الثانية متماثلة تقريبًا مع الصورة الأولى ..

كما لو أنها التقطت عموديًا عليها ..

بدت الدهشة على وجه د. (عزمى) .. وقال فى انفعال :

ـ هذا غير معقول .. إن قدماء المصريين جميعًا يواجهون الكاميرا .. ويسجدون .. لكن لماذا ؟

نظر المهندس (بكر) إلى الصورة .. وقال فى صوت خفيض :

ـ لابد أن الآلة مستقرة .. فوق الشىء الذى ينظرون إليه ..

رد عليه د. (عزمى) فى اهتمام :

ـ كلا .. إن زاوية الرؤية تثبت أن الحامل الثلاثى الذى يحمل آلة الزمن .. فى نفس مستوى الساجدين من قدماء المصريين !

وفجأة أدرك المهندس (بكر) حقيقة الأمر ..

تهدل فكه وتألقت عيناه .. وقال :

ـ أتذكر الصدى الفضى الذى تركته آلة الزمن أمامنا .. منذ وقت قليل ..؟

قال د. (عزمى) :

ـ أجل ..

استطرد المهندس (بكر) فى صوت متهدج النبرات :

ـ هل يمكن أن يكون هذا الصدى الفضى المؤقت .. مرئيًا فى الماضى أيضًا ؟

تريث د. (عزمى) قليلًا ثم قال ببطء :

ـ لا أرى سببًا يمنع ذلك .. هل تقصد أن ... ؟

ولم يكمل ..

بل وقف ينظر بعيون لا ترى ..

إلى أبى الهول .. وأشباح الأهرامات الثلاثة ..

قال المهندس (بكر) بحماس :

ـ تمامًا .. إن الوهج الفضى لآلة الزمن .. الناجم عن القفزات الزمنية الكبيرة .. لابد أنه كان مرئيًا فى الماضى البعيد .. وقت بناء تمثال أبى الهول .. لقد صدمنى عندما رأيته لأول مرة .. ولابد أنه كان أكثر تأثيرًا على قدماء المصريين عندئذ ..

منذ خمسة آلاف سنة !

قال د. (عزمى) وهو يبتسم فى سعادة ..

ويبدأ فى فك وجمع آلة الزمن :

ـ إنك على حق .. لقد بنى قدماء المصريين تمثال أبى الهول .. حول الصدى المرئى لآلة الزمن .. التى رجعت إلى الماضى لتكشف سر بناء تمثال أبى الهول .. وهكذا اكتشف السر ..

فكر المهندس (بكر) قليلًا ثم قال فى تهكم على الرغم منه :

ـ اكتشف السر !! لقد بدأت المشكلة ..

نظر إليه د. (عزمى) فى دهشة بالغة وهو ما يزال يبتسم :

ـ بدأت المشكلة ! ماذا تعنى ؟

قال المهندس بتؤدة وهو ينظر إلى تمثال أبى الهول :

ـ أجل .. فهناك أمر محير .. ما الذى جاء أولًا .. آلة الزمن .. أم تمثال أبى الهول ؟

وذابت الابتسامة تدريجيًا من على وجه د. (عزمى) ..

ومسح بعض قطرات العرق التى تراكمت على جبهته ..

برغم الجو البارد ..
وأدرك من تلك اللحظات العصيبة ..
أن تمثال أبى الهول ..
سيظل سرًا غامضًا ..
ولكن العلم والتكنولوجيا فى القرن الحادى والعشرين ..
سيظلان يعملان لكشف هذا الغموض ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

البيضة الأثرية

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

(إليها .. مع أمل فى مستقبل رائع .. بعيدًا عن كوكب الأرض)

عام ٢٢٩٢ ..

من حسن الحظ ـ بناء على اعتراف الجميع ـ أن الدكتور (شوكت عرفة) .. هو الذى كان مسئولًا عن أعمال الحفريات الأثرية فى هذه المنطقة ..

فبالرغم من كونه عالمًا أثريًا فذًا ..

إلا أنه كان أيضًا يهتم بدراسة الكائنات الحية فى القرن العشرين ..

والتى انقرضت منذ عهد بعيد ..

ولهذا فقد اهتم بالكشف الهام ..

للبويضة الأثرية ..!

ـ ١ ـ

كان الحفر يجرى فى الجزء الشمالى .. من مكان مهجور ..

تعرض فى الأزمان القديمة لثلاث انفجارات نووية ..

قضت على كل مظاهر المدنية .. والحضارة فيه ..

إن فاصلًا قدره ثلاثمائة سنة .. ليس من السهل عبوره ..

ومن الطبيعى أن عصر الرفاهية الذرية .. قادر على تحدى فهم الكائنات البشرية العادية ..

قضى د. (شوكت) سنوات من البحث .. فى حساب المكان الدقيق للحفر ..

بعد زوال أثر الإشعاعات ..

وبرغم أنه لم يعلن هذه الحقيقة على الملأ ..

إلا أنه كان مهتمًا بأمر آخر منذ زمن طويل ..

الموت ..

قدر هائل من الموت .. لم يعرف العالم مثيله من قبل ..

وبالتالى حدثت فى الأزمنة القديمة .. مقاومة هائلة للموت ..

مثل العلاجات الطبية .. والأمصال .. وأشعة الليزر .. والمضادات الحيوية ..

وطرق التجميد المؤقت ..

التى كان د. (شوكت) مهتمًا بها بوجه خاص ..

انبهر تمامًا بموضوع التجميد هذا ..

وكما بدا له حسب ما توفر من أبحاث ودراسات ..

فقد حدث فى بداية الربع الأخير من القرن العشرين ..

تقدم كبير فى طرق التجميد السريع ..

لأعضاء جسم الإنسان ..

بل الأجسام كاملة ..

وذلك بوضعها فى النيتروجين المسال .. فى درجة حرارة تبلغ ١٩٦ درجة مئوية .. تحت الصفر ..

وكان بعض الأطباء متخصصين فى مجال تجميد البشر ..

الذين يعانون من أمراض لا علاج لها ..

ويقومون بحفظ هؤلاء فى حالة من الركود البارد ..

حتى الوقت الذى يتم فيه اكتشاف علاج ناجع لهذه الأمراض بالذات ..

وعندئذ ـ مُن الناحية النظرية ـ يتم إعادتهم إلى الحياة وعلاجهم ..
وبرغم أن هذه الطريقة .. كانت ممكنة للأغنياء فقط ..
فإن مئات الألوف من الناس .. قد استفادوا من مميزاتها ..
بالرغم من عدم وجود أى سجل ..
يضم اسم شخص ما .. أعيد للحياة .. وعولج ..
كما أن المراكز التى أنشئت لهذا الغرض ..
تم تدميرها بالعواصف المحرقة ..
وفى عصور البربرية .. والبدائية التى أعقبت ذلك ..
إلا أن د. (شوكت) استدل على أحد هذه المراكز ..
التى أقيمت فى العقد الأخير من العصر الذرى ..
فى مكان عميق تحت سطح الأرض ..
والذى يعتقد أنه كان مزودًا بضاغطات هواء .. تعمل بالطاقة الذرية ..

* * *

أنزلوا عمود الحفر الآلى إلى مسافة خمسمائة متر فى القشرة الأرضية .. ووصلوا إلى الأطلال المهدمة ..
لما كان بالتأكيد مركزًا للتجميد المؤقت ..
الذى يبحثون عنه ..
نفذوا خلال المبنى القديم ..
وبمساعدة أجهزة القطع بأشعة الليزر ..
والحفارات الصغيرة ذات القدرات العالية ..
والمصنوعة من الموصلات الفائقة ..

ومعدات توليد الأكسوجين ..
وأجهزة الإنارة الحديثة ..
تمكن د. (شوكت) ومعاونوه .. من السير خلال الحطام من قاعة إلى أخرى ..
لم تخدعه أبحاثه .. ودراساته .. وتوقعاته ..
فقد كان المكان بالفعل .. مركزًا لتجميد وحفظ الأجساد البشرية ..
دخلوا قاعة وراء أخرى ..
حيث كانت تصطف توابيت التبريد الزجاجية ..
صفًا فوق آخر ..
مثل المقابر الأثرية .. فى الماضى السحيق ..
بيد أن الطاقة التى أدارت ضاغطات الهواء ..
توقفت منذ أكثر من مائتى عام مضت ..
ومن ثم فقد تحولت الهياكل العظمية .. فى قاع التوابيت ..
إلى أكوام من التراب ..
قال د. (شوكت) لنفسه :
ـ هكذا تبدد حلم الإنسان فى الخلود !!
وفكر فى أولئك الأشخاص .. وماذا كانت آخر أفكارهم ..
وهم يتحدوا فى النيتروجين المسال البارد ..
لكى يتجمدوا ..
ويتحدوا .. أغرب ما فى الكون ..
الزمن .. ذاته ..

كان معاونو د. (شوكت) يثرثرون .. باهتمام ..
ويتناقشون .. فى صخب ..
بينما أدرك د. (شوكت) أن هذا ..
قد ينظر إليه كأحد أهم اكتشافات هذا العصر .. وأكثرها إثارة ..
إلا أنه كان شديد القنوط ..
فقد أراد اكتشاف جسد جيد الحفظ ..
ومن ثم يحصل على تفسير لهذه العقود الدموية ..
التى انقلب فيها الجنس البشرى ـ فى نوبة جنون عالمية ـ على نفسه ..
ودمر عددًا كبيرًا من أفراده .. فى حروب وحشية متتالية ..
وكذلك جميع أشكال حياة الحيوانات والطيور ..
التى كانت موجودة وقتئذ ..
لم يبق سوى بقايا مفككة من سجلات هذه الأنواع والسلالات الحية ..
الطيور .. هذه المخلوقات العجيبة الطائرة ..
التى حلقت ـ منذ زمن طويل ـ فى السماء ..
كانت مصدر الكثير من الخرافات .. والقليل من الحقائق ..

ـ ٢ ـ

كان العثور على رجل أو امرأة ما ..
كائن واحد كامل .. يمكن أن يلقى الضوء على أصل العواصف المحرقة ..
التى أطلقتها دول الجنس البشرى على بعضها البعض ..

هو الحلم الأثير للدكتور (شوكت عرفة) ..
ولكنه تبدد الآن ..
كان موجودًا هنا .. وهناك .. أجزاء من هياكل عظمية غير كاملة ..
وجمجمة ذات أسنان مجددة ..
عظمة فخذ .. قدم ..
ذراع محنط فى تابوت واحد .. بشكل غريب ..
كان كل ذلك مبهرًا .. ورائعًا .. له كعالم آثار ..
ولكن بدون أية نتيجة .. مقارنًا بالإمكانات الكامنة فى حلمه المتبدد ..
كان د. (شوكت) عالمًا مجتهدًا .. مثابرًا .. وعنيدًا ..
قاد معاونيه خلال الأنقاض .. ولاحظوا كل شىء ..
فحصوا أكثر من ألف تابوت زجاجى ..
ولم يخرجوا بشىء ..
سوى تراب الزمن .. والموت ..
لكن حقيقة إنشاء هذا المركز تحت الأرض بمسافة كبيرة ..
أوحت إليهم بأنه شيد أثناء الجزء الأخير من العصر الذرى ..
لاشك أن علماء هذا العصر .. أدركوا أن الطاقة الكهربائية سوف تختفى ..
ما لم يوجد مصدر ذرى لإدارة مولداتها ..
أى استخدام طاقة الاندماج النووى ..
وذلك باندماج بعض الذرات الخفيفة لبعض نظائر الهيدروجين ..
مثل الديوتيريوم والتريتيوم ..
لتكوين ذرات أثقل منها ..

ومن ثم توليد طاقة دائمة .. ولا تسبب أى تلوث ..
وحسب المعلومات التاريخية المؤكدة ..
فإن طاقة الاندماج النووى .. قد استخدمت بالفعل فى توليد الكهرباء ..
فإذا كان الأمر كذلك .. فلابد من أن المحطة النووية .. كانت موجودة على شاطئ البحيرة القريبة ..
وهو شاطئ تحول إلى زجاج دقيق .. وحمم ملتهبة ..
ولعلهم لم يكتشفوا كيف يبنون وحدة ذرية قائمة بذاتها ..
يمكن أن تعطى تدفقًا من الطاقة لمئات السنين ..
صحيح أنه لم تكتشف أى محطة مثل هذه بين الحطام .. والأنقاض ..
ولكن كثيرًا من الحضارات القديمة .. اندثرت بفعل الحروب النووية ..
بحيث لم يتبق .. سوى الفتات من ثقافتها .. وحضارتها ..
وفى هذه اللحظات من الاستغراق فى الماضى البعيد ..
قطع حبل أفكاره .. صيحة صدرت من أحد معاونيه :
ـ يوجد هنا آثار إشعاع !
ولم يكن ذلك غريبًا فى الحفريات التى على سطح الأرض ..
ولكنه كان غير متوقع فى الطبقات العميقة من القشرة الأرضية ..
قال د. (شوكت) بلهفة :
ـ كم مقداره ؟
نظر المساعد إلى العداد الدقيق الذى يحمله .. وقال :
ـ ثلاثة من ألف !.. إنه ضعيف جدًا ..
تريث د. (شوكت) لعدة ثوان .. ثم قال بتؤدة :

ـ تقدم .. وابدأ العمل ببطء .
لم يبق سوى قاعة واحدة يتم فحصها .. وهى عبارة عن مختبر بدائى .. بمقياس القرن الثالث والعشرين ..
كان من الغريب .. أن تتلاشى العظام ..
وتبقى الآلات والأجهزة !
سار د. (شوكت) ببطء شديد خلف جهاز كشف الإشعاع ..
ومساعدوه وراءه .. وجميعهم يتحركون فى حرص بالغ ..
قال أحد المساعدين :
ـ إنها طاقة نووية .. مقدارها سبعة من ألف !.. وما زالت غير ضارة .. أعتقد أن هذه هى المحطة الذرية ..

جاءت من ركن القاعة .. همهمة خافتة جدًا .. حيث تتصل وحدة كبيرة معزولة بوساطة كابل .. بصندوق يبلغ طوله نحو المتر ..

كان الصندوق مصنوعًا من الصلب الذى لا يصدأ ..

وما زال يلمع فى بعض أجزائه ..

ويصدر صوتًا لا يكاد يسمع ..

ـ ٣ ـ

التفت د. (شوكت) إلى مساعد آخر .. وقال له فى اهتمام :

ـ تحليل الأصوات من فضلك ..

فتح المساعد حقيبة فضية يحملها .. ووضعها على الأرض .. وضبط العدادات وقرأ النتائج .. ثم قال فى إثارة :

ـ إن الوحدة .. هى مولد كهربائى معزول يعمل بالاندماج النووى .. بسيط نسبيًا .. وبدائى .. وليست الطاقة كبيرة جدًا .. ولكنها مستمرة ..

تساءل د. (شوكت) :

كم مضى من الوقت منذ دخل أى إنسان .. إلى هذه القاعة لآخر مرة ؟

نظر المساعد إلى العدادات وقال :

ـ حوالى ثلاثمائة عام !

ـ والصندوق !

تريث المساعد لبرهة وهو يجرى بعض حساباته ثم قال :

ـ إن ذلك يطرح بعض المشاكل .. إذ يبدو أن هناك مضخة .. ودورة مغلقة مستمرة .. وربما ضاغط هواء .. وهذه الدورة تعمل .. مما يدل على وجود تبريد من نوع ما .. إنها وحدة مغلقة تمامًا ..

لمس د. (شوكت) الصندوق ..

كان باردًا .. ولكن ليس أبرد من الأجسام المعدنية الأخرى .. التى بين الأثاث ..

إذن فهو معزول تمامًا ..

سأل المساعد قائلًا :

ـ كم المساحة المخصصة للآلات داخل الصندوق ؟

اشتغل المساعد مرة أخرى بعداداته ..

ودرس موقف المؤشرات المتحركة ..

بجهاز كشف الأصوات ..

وقال أخيرًا فى حيرة :

ـ يصعب تحديد ذلك .. ولكن إذا أردت تقديرًا .. فإننى أقول نحو ثمانين فى المائة !

حاول د. (شوكت) إخفاء ارتعاش صوته بالانفعال والحماس :

ـ إذن .. لو كان فى الصندوق شىء ما .. فلابد أن يكون جسمًا صغيرًا جدًا ..

وثمينًا !

★ ★ ★

مر أسبوعان ..

ثم تحدث د. (شوكت عرفة) إلى الناس .. من خلال التليفزيون المجسم ..

فبعد انتهاء الحروب النووية .. منذ نحو ثلاثمائة سنة مضت ..

كانت أيضًا نهاية الأمم والأجناس واللغات المختلفة ..
وانضم حفنة من الناجين .. الذين عاشوا بعد ذلك ..
إلى بعضهم البعض ..
ثم اندمجت لغاتهم المختلفة .. لتصبح لغة واحدة عالمية ..
وبمرور الوقت .. انتشروا فوق قارات الأرض ..
وأصبحوا فى الوقت الحاضر .. خمسمائة مليون نسمة ..
وظهرت مرة أخرى .. حقول القمح .. والأشجار .. والبساتين ..
والأسماك فى البحار والبحيرات ..
ولكن لا يمكنك أن تسمع شدو أى طائر ..
أو صيحة حيوان ما ..
إذ قضى عليها جميعًا .. ولم يبق منها شىء ..

قال د. (شوكت) وهو متهيب نوعًا ما .. من التحدث لأول مرة .. فى دائرة تليفزيونية عبر العالم بأسره .. وكان قد حدثهم بالفعل عن حفرياته .. واكتشافاته .. وتوقعاته :

ـ ... إننا نعلم بعض الأمور عن الطيور .. ولكن لسوء الحظ ليس بالشىء الكثير .. إذ لم تبق العواصف المحرقة أى طائر .. ولكننا نجحنا فى العثور هنا وهناك على كتاب يتحدث عن الطيور أو بيت شعر أو إشارة إليها فى إحدى القصص .. نحن نعلم أن بيئتها الطبيعية كان الهواء .. حيث حلقت عاليًا بأجنحتها المفرودة .. ولكن ليس كما تطير طائراتنا بدفع محركاتها الذرية النفاثة .. وإنما مثلما تسبح الأسماك .. بسهولة .. ورشاقة .. وجمال .. ونعلم أن بعضها كان صغيرًا .. وبعضها كبيرًا

إلى حد ما .. ونعرف أن أجنحتها كانت مغطاة بأشياء ملساء ذات زغب تسمى ريشًا ..

صمت لعدة ثوان ثم استطرد قائلًا :

ـ ... والآن فإننا فحصنا القاعة الأخيرة .. فى مكان خلية التبريد الوحيدة التى مازالت تعمل .. واكتشفنا شيئًا صغيرًا .. يعتقد أنه بيضة أحد الطيور .. وكما تعلمون فقد كان هناك خلاف بين علماء البيولوجيا .. حول ما إذا كان ممكنًا لأى مخلوق من ذوى الدماء الدافئة .. أن يتكاثر عن طريق البيض مثلما تفعل الحشرات والأسماك .. وأن هذا الخلاف لم يحسم بعد بصورة نهائية .. ويرى كثير من العلماء المرموقين أن بيضة هذا الطائر .. كانت مجرد رمز أسطورى .. بينما يرى غيرهم أن البيض كان وسيلة التكاثر بين جميع الطيور .. وربما يحسم هذا النزاع فى آخر الأمر .. وعلى أية حال فسوف ترون الآن .. صورة البيضة .. (ظهر على الشاشة المجسمة .. جسم أبيض صغير يبلغ طوله عدة سنتيمترات ..)

نظر إليه أهل الأرض .. ملايين يحلمون بما يصير إليه حال هذه .. البيضة ..

واصل د. (شوكت) حديثه :

ـ هذه هى البيضة .. لقد تحملنا من الألم ما لا يوصف لإخراجها من صندوق التبريد .. والآن هى موجودة داخل حضانة أنشئت خصيصًا لذلك .. وقمنا بتحليل كل عامل يمكن أن يبين لنا درجة الحرارة المناسبة .. وفعلنا كل ما فى وسعنا .. والآن ليس علينا إلا أن ننتظر ونرى ما سيحدث .. إن الآلة التى استخدمت فى تجميدها .. وحفظها .. ربما كانت الوحيدة التى أنشئت من نوعها .. ولابد أن من صممها خطط

لتجميد البيضة لفترة قصيرة .. ربما لاختبار درجة كفاءة الآلة ...
ولا نملك إلا أن نأمل أن تكون إحدى بذور الحياة ما زالت نشطة .. بعد ثلاثمائة عام ..
كان صدر د. (شوكت) يجيش بأكثر من مجرد هذا الأمل ..
لقد أعطيت البيضة الأثرية .. للجنة من أشهر علماء البيولوجيا ..
ولكن لتميزه بأنه مكتشفها .. فقد سمحوا له .. بالبقاء على مسرح الأحداث ..
لم يره أحد من أسرته .. أو أصدقائه ..
فقد مكث فى المختبر .. وكان يتناول طعامه هناك .
وينام على سرير صنعه بنفسه .
تمكنت كاميرات التليفزيون المدربة .. على نقل صورة حيّة للعالم ..
عن الجسم الأبيض الصغير ..
داخل حضانته الزجاجية ..
أما د. (شوكت) فلم يتمكن من أن يبعد نظره عن البيضة ..
كان يستيقظ من نومه .. ويسير خلسة فى الممرات الساكنة ..
وينظر إلى البيضة !
وعندما ينام كان يحلم بالبيضة !
ويرى صورًا كثيرة لما يتخيله العلماء .. عن الطيور ..
ويطوف بخياله .. الأساطير القديمة عن الكائنات الغيبية ..
التى تطير بأجنحة هائلة ..
ويتساءل عما إذا كانت قد جاءت من سلالة معينة من الطيور ..

ولم يكن وحده فى هذه التأملات المتطرفة ..
ففى عالم القرن الثالث والعشرين .. الذى يخلو من الحدود .. والحروب .. والأمراض ..
ولحد كبير .. من الحقد ..
لم يحدث شىء فى الذاكرة الحية للإنسان ..
فى مثل إثارة اكتشاف هذه البيضة الأثرية !
وذات ليلة استيقظ د. (شوكت) فزعًا من نومه ..
فقد أخذ يهزه أحد مُساعديه .. ويقول له بصوت مفعم بالإثارة :
ـ البيضة تفقس !.. احضر فورًا لتراها ..

ـ ٤ ـ

ركض د. (شوكت) بملابس النوم ..
إلى حجرة الحضانة ..
وبين ضجيج أصوات العلماء وتعليقاتهم ..
سمع توسلات المصورين لهم .. بأن يدعوا لهم مكانًا للتصوير ..
ولكنه تجاهل ذلك .. وهو يندفع بينهم ليشاهد بنفسه ما يحدث ..
لقد تشققت قشرة البيضة بالفعل ..
ولاحظ أن منقارًا يبرز إلى الخارج ..
ويعده كرة صغيرة من الريش الأصفر المزغب ..
كان رد الفعل الأول .. عبارة عن خيبة أمل شديدة ..
فهل كان هذا هو الطائر ؟

هذه الكرة الدقيقة من الحياة .. عديمة الشكل .. الواقفة على ساقين ضئيلتين .. والتى لا تكاد تقوى على السير ..؟!

والواضح أنها لا تقوى على الطيران ؟

ثم طمأنه المنطق .. والتفكير العلمى ..

إلى أن الطفل ليس من الضرورى أن يشبه البالغ ..

وأن حقيقة خروج الحياة من بيضة قديمة متجمدة ..

هى فى حد ذاتها معجزة ..

لم ير مثلها طوال حياته ..

★ ★ ★

طوال الأسابيع التالية ..

ظل د. (شوكت) والعالم كله معه ..

يراقبون أعظم شىء صادفهم ..

وهو نمو فرخ صغير ..

إلى أن يصبح طائرًا صدّاحًا أصفر اللون ..

نُقل من الحضانة إلى قفص صغير .. ثم إلى قفص أكبر ..

وفى يوم ما .. فرد جناحيه .. وقام بأول محاولة له للطيران ..

ابتهج ملايين من البشر لذلك ..

غنى فى أول الأمر فى تردد .. ثم شدا بقوة أكبر ..

بأغنية قصيرة مبهجة ..

وأنصت إليه العالم باهتمام شديد ..

أكثر مما يحدث لكثير من كبار فرق الأوركسترا السيمفونية الضخمة ..

بنوا للطائر قفصًا هائلًا .. ارتفاعه عشرة أمتار .. وطوله وعرضه عشرون مترًا ..

ووضعوه فى وسط حديقة عامة ..

وكان يطير .. ويشدو .. ويحوم داخل القفص ..

مثل كرة مندفعة .. من أشعة الشمس ..

حضر الناس بالملايين من أقصى الأماكن فى العالم ..

خصيصًا لرؤية الطائر ..

وربما تكون حياة بعضهم قد تغيرت ..

مثلما تغيرت حياة د. (شوكت عرفة) ..

فقد أصبح يعيش الآن بأحلام .. وتذكريات .. عالم كان موجودًا من قبل ..

حيث حلقت هذه المخلوقات الصداحة فى الهواء ..

وكان الفضاء يغص بتحليقها .. وانقضاضها .. ورقصها ..

ما أروع الحياة مع هذه الطيور !

كان د. (شوكت) يذهب كثيرًا إلى الحديقة العامة ..

ويندفع ببطء فى الزحام الهائل .. حتى يقترب بشكل كاف ..

ليرى هذه الكرة الراقصة الدقيقة من ضوء الشمس ..

التى رجعت إلى العالم .. من الماضى السحيق ..

وذات يوم .. كان يقف هناك ناظرًا إلى السماء الزرقاء الواسعة ..

وأدرك عندئذ ما الذى ينبغى عليه عمله ..

ـ ٥ ـ

أصبح د. (شوكت) شخصية مرموقة واسعة الشهرة ..

ولذلك لم يكن من الصعب عليه .. أن يطلب المثول أمام المجلس الأعلى للعلماء ..

وقف أمام هيئة المجلس الموقر ..

المتكون من مائة رجل وامرأة .. يديرون دفة الحياة على الأرض ..

قال له رئيس المجلس .. وهو شيخ مهيب ذو لحية بيضاء .. يتعدى عمره التسعين عامًا :

ـ سوف نسمعك يا د. (شوكت) ..

كان د. (شوكت) عصبيًا ومتوترًا ..

مثل أى شخص يقف أمام المجلس الأعلى للعلماء ..

ولكنه كان يعرف ما الذى يجب أن يقوله .. وفعلًا أجبر نفسه على قوله :

ـ يجب إطلاق سراح الطائر !

ساد صمت لمدة دقائق .. قبل أن تقف امرأة طويلة القامة .. لتسأل ببرود :

ـ لماذا تقول ذلك يا د. (شوكت) ؟

أجاب د. (شوكت) متهيبًا :

ـ ربما .. لأننى بدون أى غرور .. يمكننى الزعم بوجود علاقة خاصة .. بينى وبين هذا الطائر .. وعلى أية حال .. لقد دخل حياتى وكيانى .. وأعطانى شيئًا لم أعهده من قبل ..

قال له عالم آخر يجلس فى آخر القاعة :

ـ ربما كان ذلك صحيحًا بالنسبة لنا جميعًا ..

نظر إليه د. (شوكت) ثم رد ببطء :

ـ أرجو هذا .. وعندئذ سوف تعرفون ما الذى أشعر به .. لقد ظل الطائر معنا لفترة تزيد على العام الآن .. وقد بحثت هذا الأمر مع علماء البيولوجيا الذين يعتقدون أن مخلوقًا صغيرًا مثل هذا الطائر .. لا يمكنه أن يعيش لفترة طويلة ..

تريث لبرهة ثم أضاف قائلًا :

ـ إننا نحيا بقانون الحب .. والأخوة .. ونعطى بقدر ما نأخذ .. لقد أعطانا الطائر واحدة من أعظم الهبات .. إحساس جديد بعظمة الحياة .. والأمل .. وكل ما يمكننا إعطاؤه له مقابل ذلك .. هو السماء الزرقاء .. المكان الذى يهفو إليه .. هذا هو السبب فى اقتراحى بإطلاق سراح الطائر ..

★ ★ ★

غادر د. (شوكت) القاعة ..

وتداول أفراد المجلس فيما بينهم ..

وفى اليوم التالى أعلنوا قرارهم للعالم كله ..

يجب إطلاق سراح الطائر !

ولم يمر وقت طويل بعدئذ ..

حتى جاء يوم احتشد فيه أكثر من نصف مليون شخص على التلال .. والوديان .. المشرفة على الحديقة العامة .. التى يوجد بها القفص ..

وشاهد الملايين ما يجرى .. على الشاشات المجسمة ..

كان د. (شوكت) قريبًا من القفص ..
وشاهد السقف يتدحرج إلى الخلف ..
ثم رأى الطائر ..
كان يقف فى مجثم عال .. يشدو فى سعادة ..
ويطلق سيلًا من الأصوات العذبة من حنجرته الصغيرة ..
وعندئذ شعر الطائر بشكل ما بأنه أصبح .. حرًا ..
وتصور الدكتور (شوكت) أنه يرى الفرحة فى عينيه العسليتين الرائعتين ..
طار أولًا فى داخل القفص ..
ثم فى دوائر ترتفع لأعلى تدريجيًا ..
حتى أصبح مجرد ومضة لامعة من ضوء الشمس ..
امتزج بها ..
ثم اختفى ..
همس شخص قريب من د. (شوكت) :
ـ لعله لن يلبث أن يعود !
والغريب أن د. (شوكت) لم يأمل فى حدوث ذلك ..
إنه يريد أن يتمتع الطائر الرقيق .. بالحرية .. والسعادة ..
ما بقى له من حياة ..
اغرورقت عيناه بدموع .. الوداع ..
ولكنه أحس بنشوة كاملة ..
لم يشعر بها من قبل ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

ذات صباح فى عام ٢٠٠١

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ش الأهرام مساكن شيراتون - القاهرة - ت ٦٣٥٥٠٩

استيقظ (س) .. وأغنية معجون الأسنان (بياضه) .. تلف فى رأسه ..
نظر بعينين متعبتين إلى مكبر صوت المذياع فى الجدار المجاور لوسادته ..
حدق فى السقف الذى كان ما يزال خاليًا ..
قال لنفسه :
ـ لابد أن الوقت مبكر جدًا ..
حوّل عينيه عن السقف .. ونزل من السرير ..
متفاديًا النظر للرسائل المطبوعة على الملاءة ..
وأكياس المخدات .. والبطاطين .. ورداء النوم ..
والتى تعلن عن سلع وخدمات مختلفة ..
وبمجرد أن لمست قدماه الأرض ..
اشتغل جهاز التليفزيون .. على أن يتوقف تلقائيًا فى العاشرة مساء ..
كان (س) حرًا تمامًا فى تشغيل القنوات العشرين ..
ولكنه لم يجد أهمية لذلك ..
وفى الحمام فتح الضوء .. وفى الحال انطلق صوت التليفزيون الحاد ..
وظهر على الشاشة الفرعية فى الجدار أمامه ..
صورة تلك الفتاة الطويلة القامة .. ذات الأسنان الكبيرة .. والعينين الضيقتين ..
والشعر الأسود المسترسل .. التى تبتسم دائمًا ..
ابتسامة بلهاء ..
كانت تؤكد له أن حليب (الضياء) .. هو أفضل ما يمكن شربه صباحًا ..

وفى اليوم التالى ـ فى إعلان آخر ـ تصر على إن حليب (الصحة) .. هو الأفضل .. وفى يوم ثالث .. تقول بصوتها الأجش .. أن حليب (الوردة) .. هو الذى يمنح النضارة .. والقوة ..
حتى احتار (س) .. أى نوع من الحليب يستعمل ..
فتوقف تمامًا عن شرب الحليب !

★ ★ ★

أطفأ ضوء الحمام .. وأدى أول طقوس الصباح فى الظلام ..
ثم احتاج للضوء ليحلق ذقنه ..
كانت المرآة تظهر إعلانات ثابتة .. مرة كل ثلاث ثوان ..
لم يمنعه ذلك من إكمال حلاقة ذقنه .. ولكن بصعوبة ..
وبعد بضعة دقائق ..
كان يقرأ الإعلانات الملونة ..
المطبوعة على أوراق متتالية من أوراق الحمام ..
مسكّن الألم بطعم التفاح ..
أوراق الكتابة التى تُستخدم أكثر من مرة ..
ويمكن غسلها ..
القماش المضاد للحريق .. !
وفى أثناء ارتدائه لملابسه .. سمع جرس الهاتف .. ولكنه لم يرد ..
فقد كان يعرف ما الذى سوف يسمعه إذا رفع السماعة :
ـ صباح الخير .. هل تناولت وجبة (الشفاء) المغلفة بالبروتين و ...
أو ربما :
ـ هل أنت مكتئب ؟ مرض انسداد الشرايين التاجى .. يقتل أربعة من كل خمسة أفراد ! الأعراض المبكرة هى ...

ومن ناحية أخرى .. ربما كانت مكالمة شخصية هامة ..
لذا رفع (س) السماعة ..
سمع صوتًا نسائيًا .. ناعمًا .. متملقًا .. يقول :
- أنت (س) ؟
- أجل .. من يتحدث ؟
- اسمى (ف) .. أنا أعرفك وأنت لا تعرفنى .. هل شعرت مؤخرًا بكسل .. وضيق ..
وضع السماعة بعنف ..
لينتهى من ذلك كله ..
وتهالك فوق مقعد وثير من الجلد ..
فوقه قطع من البلاستيك عليها إعلانات أنيقة ..
نظر إلى السقف الذى بدأ يعرض - بوساطة دائرة مغلقة - مجموعة من المواقف التمثيلية التى تتضمن كل دقيقة .. إعلانا مختلفا ..
وكان صوت المذياع .. الذى يبث أغنيات دعائية عن منتجات متعددة ..
وشاشات التليفزيون التى تتناثر فى كل مكان ..
تظهر نفس الفتيات اللاتى يروجن للسلع المختلفة ..
حتى شعر بكراهية شديدة لهن ..
ولابتسامتهن المصطنعة ..
كان كل ذلك .. يحطم أعصابه تمامًا ..
وأسوأ ما فى الأمر .. أنه لا يستطيع أن يغلق أى جهاز ..
فالإغلاق آلى .. وفى أوقات محددة ..
اليوم عيد ميلاده ..
ويريد أن يحتفل به وحيدًا ..
دَرَن ضوضاء القرن الحادى والعشرين !

★ ★ ★

وأدرك ما يجب أن يفعله ..
سحب قصاصة ورق صغيرة من درج مكتبه ..
كتب عليها عنوان فى ضاحية قريبة ..
قبل ذلك .. كان مترددًا فى اتباع هذا الطريق ..
ولكنه حسم أمره هذا الصباح ..
يوم عيد ميلاده ..
غادر شقته .. وأوقف سيارة أجرة ..
فى داخل السيارة .. تحرك ظهر المقعد الذى أمامه .. ليعرض إعلانات عن العصائر المغذية .. بجميع الفيتامينات ..
فتح الجريدة التى تركها آخر راكب وراءه ..
تحركت عينا (س) بسرعة على الإعلانات المطبوعة بالحبر البراق .. بأربعة ألوان ..
حاول أن يركز فى قصة خبرية .. عن بدء تنفيذ برنامج إسكانى جديد .. لكن محاولاته لتجاهل إعلانات مزيل الروائح الكريهة ..
المطبوعة باللونين الأحمر والأخضر .. بين سطور الجريدة !
كانت غير مثمرة ..
وصلت أخيرًا سيارة الأجرة .. إلى وجهتها ..
وأعطى (س) السائق .. ورقة نقدية على وجهها صورة معركة تاريخية .. وعلى وجهها الآخر صورة طفل يستحم بصابون (النعومة) !
دخل مبنى خشبيًا شبه متهدم ..
ووجد الباب الصحيح .. حسب العنوان الذى معه ..
ضغط على جرس الباب ..
وسمع داخل الشقة .. صوت الطنين التقليدى ..

ولبس الجرس الموسيقى ..
ملأ الأمل قلبه ..
وأحس بسعادة غامرة ..
أجابته امرأة بدينة .. فتحت له الباب .. ونظرت إليه بارتياب ..
قالت بخشونة :
ـ ماذا تريد ؟
رد بصوت هامس :
ـ السيدة (ع) .. لقد حصلت على اسمك وعنوانك من صديق .. وعلمت أنك ..
خفض صوته أكثر .. وأكمل :
ـ ... تؤجرين بعض الغرف !
قالت بحدة :
ـ ابتعد عن هنا .. إنك سوف تسبب لى المتاعب ! إننى مواطنة محترمة ..
ابتسم فى ود وقال :
ـ سوف أدفع لك ما تريدين .. إن لدى وظيفة محترمة .. إننى ...
ردت فى لهجة مقتضبة :
ـ كم تدفع ؟
نظر حوله فى شك ثم قال بسرعة :
ـ مائتان ! إن هذا ضعف ما أدفعه فى مشروع الإسكان ..
فتحت الباب أكثر .. وقالت بلا مبالاة :
ـ ادخل ..
وبعد أن دخل .. أغلقت المرأة البدينة الباب بالمفتاح والمزلاج .. وقالت :

ـ غرفة واحدة .. الحمام فى الصالة .. تشترك فيه مع اثنين آخرين .. تخلص من القمامة بنفسك .. ممنوع الطهى فى الغرف .. ويجب أن تدفع إيجار ثلاثة أشهر مقدمًا .. ونقدًا ..
قال (س) بسرعة :
ـ موافق على كل شروطك ..
تريث لعدة ثوان ثم قال متهيبًا :
ـ هل أستطيع تشغيل التليفزيون ؟
قالت بلا مبالاة :
ـ لا يوجد أى تليفزيون أو هاتف !
نظر إليها فى رجاء وقال :
ـ ولا حتى مذياع .. يظل يبث برامجه الإعلانية طول الليل ! ولا مناظر جميلة فى المرايا ؟.. ولا تمثيليات تتخللها إعلانات تظهر على السقف والجدران ؟
قالت مستنكرة :
ـ لا يوجد أى شىء من هذا !
ابتسم (س) .. ووضع قيمة إيجار الثلاثة شهور فى يدها .. ثم سألها :
ـ متى يمكننى أن أستخدم الغرفة ؟
هزت كتفيها وقالت :
ـ فى أى وقت تشاء .. خذ المفتاح .. الطابق الأرضى فى الأمام .. لا توجد مصاعد ..

انصرف (س) وهو يبتسم ..
ويقبض بيده بشدة .. على المفتاح الكبير ..
لقد تخلص أخيرًا من الإعلانات ..
التى تحاصره فى كل مكان ..
وسوف يستمتع بالحياة ..
مرة أخرى ..

★ ★ ★

التقطت السيدة (ع) سماعة الهاتف .. وطلبت رقمًا معينًا ..
قالت فى همس :
ـ دكتورة (ع) تقدم تقريرها .. لدينا شخص جديد .. ذكر .. فى حوالى الثلاثين من عمره .. يكره الإعلانات !
جاءها من خلال الهاتف صوت حاد :
ـ ماذا ؟.. يكره الإعلانات !!
ردت بصوت لا يكاد يسمع ..
مؤكدة ما تقول :
ـ بكافة أنواعها .. !
جاءها الأمر سريعًا .. حاسمًا :
ـ شكرًا لك .. ابدئى العلاج على الفور .. وتأكدى أنه سوف يصبح موطنًا صالحًا .. يحب الإعلانات .. إلى حد العشق !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

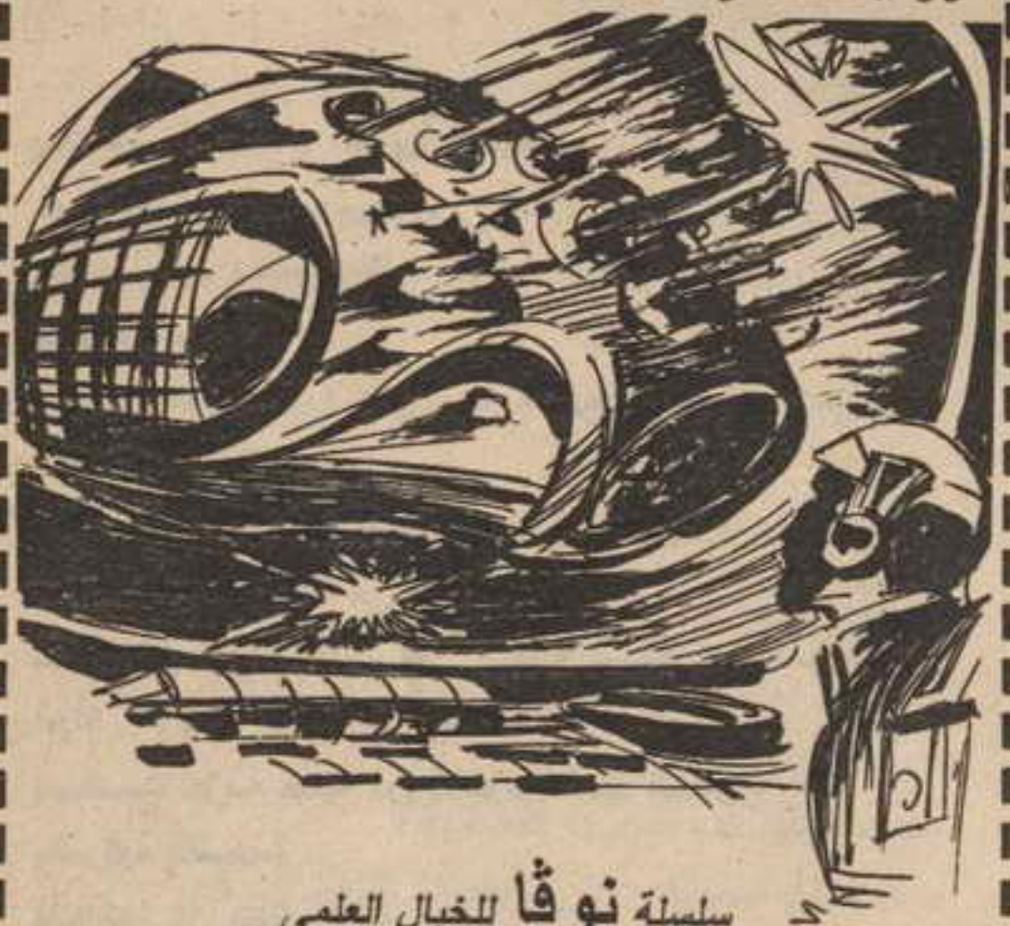

سلسلة نوقا للخيال العلمى

بضربة واحدة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
٢١ ش الجمهورية بالفجالة - القاهرة - ت ٩٥٨٥٠٠

بدت سفينة الفضاء الحربية السوداء ..
فوق شاشات الكمبيوتر ..
وكأنها حُوت معدنى هائل ..
يتهيأ للصيد ..
ضغط (عادل فوزى) على لوحة مفاتيح الكمبيوتر الضوئى ..
الذى على جهاز المسح ..
وعلى الفور ظهرت سفينة الفضاء فى صورة قريبة ..
مركبة حربية ضخمة من الفئة الرابعة ..
تكاد تماثل فى قوة تدميرها .. سفينة أسلحة عبر المجرات ..
فجأة .. وبينما كنا نراقب الشاشة ..
اصطدمت حزمة هائلة من الضوء الشديد السطوع ..
بالمركبة الضخمة ..
فأبعدتها عن مجال رؤيتنا ..
وعندما تتبعنا مسارها ..
كانت قد تلاشت ..
وكل ما استطعنا رؤيته ..
قطع من الحطام .. تتناثر فى كل الفضاء من حولها ..

ـ ١ ـ

ظهر المشهد مرة أخرى .. فجأة ..
وكنا نجرى مسحًا ارتجاعيًا .. دقيقًا ..

بحثًا عن المعركة الفضائية ..
ظهر المزيد من خطوط الليزر .. البراقة ..
تموج عبر الشاشة ..
وعددًا أكبر من سفن الفضاء الحربية تنفجر ..
شعلات خاطفة .. فى الخلفية الحمراء المائلة للرمادى .. للكون السحيق ..
وعلى يسارنا ظهرت ثلاث مركبات رفيعة .. مصقولة ..
سابحة فى وسط المشهد ..
ومرافئ مدافعها تبرق ..
ثم انطلقت بعيدًا فى زاوية حادة ..
كانت تبدو مثل أسماك القرش .. الضارية .. الجائعة ..
قلت لـ(عادل فوزى) :
ـ كم نبعد عن هذه المعركة الفضائية ؟
أجرى بعض الحسابات على الكمبيوتر ثم قال فى قلق :
ـ إننا على بعد نحو وحدة فلكية .. يا كابتن (شوقى) ..
قلت له بسرعة :
ـ هل يمكنهم رؤيتنا ؟
فكر قليلًا ثم رد قائلًا :
ـ أعتقد أنهم منهمكون فى المعركة .. بحيث لا يتوفر لهم الوقت للاهتمام بنا ..
قال زميلنا المريخى (زارا) :
ـ يبدو أن الأسطول الفضائى المريخى .. يهاجم أسطول الأرض ..

وافقته على رأيه :

- إنهم بهذا ينقضون المعاهدة الفضائية .. بين كواكب المجموعة الشمسية ..

وبعيدًا ظهر ما يحتمل أن يكون طرازًا آخر من السفن الفضائية المقاتلة ..

ثم تبعه اثنان آخران ..

والآن .. فى مقدورنا أن نشاهد على يمين شاشة الكمبيوتر .

نحو خمسين سفينة حربية .. تتدافع ..

وفورًا ..! انطلق نحوها وابل كامل .. من إشعاعات الليزر ..

وفى خلال بضع دقائق ..

كان نحو نصف عدد السفن المقاتلة ..

قد دمر تمامًا ..!!

* * *

أحسست - دون أن أرى - توتر (زارا) فى مقعده ..

أمام أجهزة القيادة ..

وسمعت (عادل) يصرخ ..

أما (حسنى كامل) - خبير الاتصالات - فقد كان ينن ..

كنت أود أن أصرخ أنا الآخر ..

ولكن كابتن سفينة الفضاء ..

عليه أن يحتفظ بأعصابه هادئة ..

ويكون قدوة للآخرين ..

كل ما شعرت به .. تقلص شديد فى معدتى ..

من إحساسى بالرعب ..

بينما كنت أتطلع إلى شاشات الكمبيوتر .. أعلا رأسى ..

شاهدت أكبر قطعة حربية .. رأيتها طوال حياتى ..

كانت قادمة سريعًا على شاشة جهاز المسح الخلفى ..

قلت فى همس :

- يا إلهى .. ما هذا ؟!

كانت طويلة وسوداء .. وبها ما يبدو كألف من الفتحات المضاءة ..

فى الجانب الأقرب إلينا ..

وتعلوها على مسافات متساوية .. بطول ظهرها العلوى ..

نتوءات ضخمة .. تعج بمواضع مدافع الليزر ..

وذلك إلى جانب فتحات الصواريخ .. التى يمكن رؤيتها تبرز ..

بقممها الفضية ..

أما جسر القيادة .. فيقع فى السطح العلوى بطوله .. فى المؤخرة ..

وأسفله .. تبدو واضحة .. شارة المريخ الضخمة ..

على شكل صورة متلألئة ..

ثلاثية الأبعاد ..

إذن .. ما كنت أتطلع إليه .. هو بلا أدنى شك ..

سفينة القيادة الخاصة ..

بقائد الأسطول الفضائى المريخى الحربى ..

- ٢ -

كنت أعلم أن أسطول الأرض الفضائى ..
لن يكون أبدا نذا .. للقوة الحربية المريخية ..
لهذا قلت لـ(عادل فوزى) :
- ابتعد بقدر الإمكان .. عن هذه السفينة الجبارة ..
فجأة صرخ (حسنى كامل) :
- كابتن !
وفى تلك اللحظات ..
اجتاح شاشة جهاز المسح الأمامى ..
ما كان يبدو كعاصفة ثلجية ..
ومحا المشاهد التى كانت عليه ..
وانبعثت أصوات طقطقة ..
فى أجهزة النظام الصوتى لسفينة الفضاء ..
كما لو كان شخص ما .. يركل لفات أوراق معدنية ..
قلت بسرعة لـ(عادل) :
- حالة طوارئ عاجلة .. ابتعد فورًا عن مكان المعركة .. على أن نراقبها من مسافة كافية ..
بعد ذلك صفا جهاز المسح مرة أخرى ..
وظهر عليه وجه أحد أفراد القوات المسلحة المريخية ..
يبدو أكبر سنًا بكثير من (زارا) ..
كما أن أنفه المدبب أضخم ..

وبشرة وجهه الأخضر داكنة أكثر ..
وعيناه تبرقان بالشر ..

- ٣ -

قال المريخى بصوته الأجش :
- أنا الأرشيدوق (شاسا).. قائد لأسطول الفضائى المريخى العظيم .. من أنت ؟
قلت بهدوء .. لأننى أعلم أن صورتى تنقل إلى سفينة الأعداء :
- أنا الكابتن (شوقى شهدى) .. قائد سفينة الفضاء الأرضية (خفرع) .
قال القائد فى غرور :
- لعلك تتساءل .. لماذا لم نحطمك كما فعلنا فى معظم الأسطول الفضائى الأرضى ؟

احتفظت بهدوئى بمجهود كبير .. وقلت ببطء :

ـ سوف تخبرنى أيها القائد !

اعتدل فى جلسته وقال بتؤدة :

ـ أخبرنا الكمبيوتر بأن فى سفينتك .. مريخى يدعى (زارا) .. وهو منشق على حكومتنا .. ومؤسس حزب السلام بين الكواكب .. وهو يعمل معك ..

قاطعته لأكسب وقتًا :

ـ وماذا تريد منى أن أفعل أيها القائد ؟

اقترب (شاسا) من الشاشة أكثر .. بحيث بدت ملامحه الغريبة .. واضحة :

ـ أريد منك أن تسلمه لنا ..

استرخيت فى مقعدى .. وأنا أقول :

ـ وما الذى يحدث إذا رفضت ؟

إبتسم (شاسا) .. فبدت بشرته الخضراء متألقة .. وقال بسخرية :

ـ أظن أنك تدرك ياكابتن .. أن لا حيلة لك فى الأمر ..

أخذت أفكر بسرعة ..

ربما لن يستطيع القائد (شاسا) أن يدمر سفينتى لوجود (زارا) فيها ..

ولكن من ناحية أخرى ..

قد يرغب فى تدميرها .. حتى يتخلص منه ..

وقررت أنه فى جميع الأحوال ..

لن أتخلى عن (زارا) أبدًا ..

عاد الصوت الأجش للقائد (شاسا) .. يدوى فى الشاشة :

ـ أظنك تفكر ياكابتن فى خطة للهروب .. ولكننى أقول لك .. بأنها ستكون فاشلة .. فإننى أعرف الإمكانات المحدودة .. لسفينتك .. وأحذرك بأن مدافع الليزر موجهة نحوك .. ويمكننى أن أدمرك فى خلال عدة ثوان ..

تريث لبرهة .. ثم ملأ وجهه الشاشة وهو يصيح :

ـ كفى مراوغة .. سوف أرسل لكم فى خلال دقائق .. إحدى المركبات الفضائية الصغيرة .. لتأخذ الخائن (زارا) .. وسأسمح لكم بعدها بالرحيل .. إلى كوكبكم ..

★ ★ ★

تطلعت إلى الشاشة اليمنى ..

ورأيت فتحة سفلى فى سفينة القيادة المريخية ..

تنزلق منفتحة .. وتخرج منها مركبة مثلثة رمادية اللون ..

وتوقعت أنها ستستغرق نحو خمس دقائق .. لكى تصل إلينا ..

وربما أقل من ذلك ..

وفجأة تنبهت إلى وجود (زارا) بجانبى ..

وبدا عليه كما لو كان يبحث عن شىء ما .. على الأرضية ..

وبعد عدة ثوان .. تبينت أنه كان يقصد من ذلك .. جذب انتباهى .. بعيدًا عن عيون القائد (شاسا) ..

أبلغنى (زارا) ببعض الأمور الهامة ..

قال بأنه كان يقوم ببعض العمليات الذهنية الرياضية ..

التى اشتهر بها أهل المريخ ..

توصل منها إلى أنه .. إذا كانت المركبة الفضائية المثلثة .. ستبقى على اتجاهها إلينا ..

بمعدل سرعة منتظم ثابت ..

فستصل إلى محاذاة مدافع الليزر لمقدمة سفينتنا ..

بعد دقيقتين وست عشرة ثانية بالضبط ..

ثم سوف تواصل سيرها .. فى مسارنا لمدة تسع ثوان أخرى ..

وطلب منى (زارا) .. أن أفكر فى هذا ..

وأخبره إذا كان الأمر يهمنى ..

شاهدت المركبة الفضائية المثلثة على الشاشة ..

بينما يزداد حجمها .. كلما اقتربت منا ..

وأدركت أنه بالرغم من أن (زارا) .. قد يكون كائنًا متبلد الحس إلى حد ما ..

وأحيانًا لا يستثمر جهده ووقته .. فيما هو نافع وفعال وضرورى ..

إلا أنه بالرغم من هذا ..

يبدو لى أن ما توصل إليه .. بالعمليات الذهنية الرياضية ..

سوف يؤكد بالفعل ..

إزاء هذا .. شعرت بالعرق يتصبب من كل مسام جسمى ..

بينما كنت أقدر الاحتمالات .. والفرص المختلفة ..

للهروب .. أو الموت ..

وأدركت مافى استطاعتى عمله ..

ولكنى لم أكن متأكدًا من النجاح ..

ـ ٤ ـ

أخذت الثوانى تمر ..

والمركبة الفضائية المثلثة تقترب أكثر فأكثر ..

والقائد (شاسا) يحدق فينا من خلال الشاشة ..

حركت يدى اليمنى خلسة ..

إلى أن لامست شيئًا ما ..

وتطلعت إلى الوجه الضخم للقائد ..

وعقدت آمالى .. أن تكون أفكار (زارا) .. وحساباته .. صحيحة ..

عندئذ جذبت ذراع التراجع الخلفى ..

وقلت بسرعة لـ(عادل) :

ـ أطلق الإشعاع ..

وبعدها .. حدثت ثلاثة أشياء خاطفة ..

فقد أطلق (عادل فوزى) مدافع الليزر على المركبة الفضائية المثلثة ..

فاختفت فى حزمة من أشعة الضوء الأبيض ..

وانفتحت مواضع فتحات مدافع القائد (شاسا) .. تجاهنا ..

★ ★ ★

ويبدو أن القائد المريخى .. قد نسى أمرًا هامًا ..
أنه إذا كان من الممكن التقدم للأمام ..
فلابد أنه بالإمكان أيضًا .. التراجع إلى الخلف ..
فقد اخترقت أشعة ليزر السفينة المريخية .. الفراغ ..
لأننا لم نكن فى الموقع التى صُوبت إليه ..
حيث كنا قد تراجعنا بسرعة .. مبتعدين ..
عن تلك النقطة التى بلغتها أشعتهم ..
ذات القدرة التدميرية الهائلة ..
والتى اخترقت الفضاء .. بينما كنا لم نزل نتراجع بسرعة ..
بعد ذلك دفعت قضبان تشغيل أجهزة زيادة الدفع .. والقوة ..
إلى الأمام بشدة ..
فارتجت ارتجاجًا هائلًا ..
حتى أننى كدت أنسحق فى مقعدى ..
بفعل الدفعة الرهيبة للقوة ..
ولكننا عندئذ كنا قد اندفعنا إلى الأمام ثانية ..
وأخطأتنا طلقات الليزر مرة أخرى ..
واخترقت أشعتها الحارقة .. الفضاء ..
فى نفس الموضع الذى كنا فيه ..
قبل ثوان قليلة ..
عندئذ لم يعد الأمر يهم ..
فقد شعرت بتلك الخفة الغريبة .. التى طرأت على معدتى ..

والدوار البسيط ..
وذلك الغثيان الفورى ..
الذى أدركت منه .. أننا اختفينا تمامًا من أمام عينى القائد (شاسا)
متحولين .. خارجين من الفضاء والزمن الحقيقيين ..
أخذ القائد (شاسا) ينفث .. ويزأر غضبًا ..
إلا أن زئيره هذا .. قطع وهو فى قمته ..
إذا اختفى وجهه من فوق الشاشة ..
وأصبحت خالية ..
كل ما استطعنا مشاهدته فيها ..
هو غبشة رمادية .. كالضباب ..

★ ★ ★

بعض الناس يطلقون على ذلك .. الفضاء الفائق ..
فهو بعد آخر غريب .. حيث يمر الزمن فيه بسرعة أكبر ..
وتبقى سفينة الفضاء ساكنة ..
ويحدث هذا الفضاء الفائق ..
عندما تقترب سرعة سفينة الفضاء ..
من سرعة الضوء .. التى تبلغ ثلاثمائة ألف كيلومتر .. فى الثانية الواحدة !
وعمومًا فإننا نستخدم هذا الفضاء الفائق ..
فى الرحلات الكونية الطويلة ..
قلت بارتياح :

ـ لقد تخلصنا من القائد (شاسا) ومضايقاته ..
ولم تمر عدة ثوان ..
حتى سمعت (حسن كامل) يصرخ :
ـ انظر ياكابتن !
انجذبت عيناى بسرعة .. تجاه جهاز المسح ..
ووجدت نفسى أصرخ أنا الآخر ..
إذ أن الأسطول المريخى بأكمله ..
قد انعطف وراءنا ..

ـ ٥ ـ

ضغطت الأزرار والمفاتيح .. الموجودة على خزانة التوجيه والتحكم ..
بينما كان العرق يتصبب من جسدى كله ..
وصحت فىّ طاقم القيادة .. بالتشبث جيدًا ..
ومرة أخرى انتابتنى تلك اللحظات من الغثيان .. والدوار ..
فقد بدأت سفينتنا تغوص بقوة ..
كجوادٍ برى متوحش ..
وفى مكان ما خلفى ..
سمعت تهشم زجاج .. وبعض المعدات ..
ثم عدنا مرة أخرى .. إلى فضاء أسود ..
واستمر انطلاقنا إلى المجهول ..
متجاوزين كوكبًا معلقًا فوقنا .. كالقلادة ..
تساءلت :

ـ أين نحن الآن ؟
رد علىّ (عادل فوزى) بصوت هامس :
ـ لا أعلم يا كابتن !
وكان صادقًا ..
فقد أصبحت شاشة الكمبيوتر .. خالية تمامًا ..
ولكن دبت فيها الحياة فجأة ..
لتقدم لنا المزيد من المفاجآت المروعة !
وصرخت .. حتى كاد الصراخ أن يمزقنى ..
فقد كانت هناك صخور كبيرة ..
بحجم المنازل الكاملة ..
تنهال بجوارنا .. متجاوزة إيانا ..
وفوقنا .. كانت الكويكبات من الحديد والحجارة ..
تدور بجنون ..
وهى تهددنا فى كل لحظة ..
وأخذت الحصوات البللورية ..
والصخور الجلمودية الهائلة ..
تنهال على هيكل سفينة الفضاء .. بلا انقطاع ..
لقد قفزنا مباشرة إلى داخل .. ذلك الذى جعل القشعريرة الباردة ..
تسرى فى عمودى الفقرى ..
عاصفة نيزكية مروّعة !

★ ★ ★

ما من أحد يعلم كيف بدأت ؟
فلقد هبت فجأة من مكان مجهول ..
محدثة اضطرابًا هائلًا ..
وكان الموت المؤكد .. قريبًا جدًا ..
ولم أكن أحتاج إلى التفكير فى الانعطاف ثانية ..
قبل أن تكون لدينا فرصة للتماسك تمامًا ..
على الوجه الصحيح ..
وكنت أعلم أن الأسطول الفضائى المريخى ..
فى أعقابى ..
فلماذا لا أستخدم العاصفة النيزيكية .. كمصيدة لهذا الأسطول ؟
اندفعت وسط العاصفة بلا تردد ..
مضحيًا بنفسى فى سبيل كوكب الأرض .. ووطنى ..
لم تتمكن معظم سفن العدو من الابتعاد .. عن العاصفة النيزكية ..
أو التراجع والانعطاف بعيدًا ..
وكنت مشغولًا للغاية فى محاولة تفادى هذه الصخور الهائلة ..
إن هيكل سفينتنا يمكنه أن يتحمل .. انهيار الصخور .. والجلاميد
الصغيرة .. طالما ظللت متمالكًا لأعصابى ..
وعملت على تفادى الأحجار النيزكية المنهالة ..
وفجأة .. لمحت السفينة الهائلة للقائد (شاسا) ..
وقد انشطرت بوساطة كويكب سيار هائل ..
يبدو أنه لابد أن يكون طوله .. حوالى مائة كيلومتر على الأقل !

والمعروف أنه كلما كبر حجم سفينة الفضاء ..
كلما قلت الفرصة التى لديها للمراوغة .. والمناورة ..
أما مركبة فضائية صغيرة نسبيًا .. مثل سفينتنا ..
فيمكنها القيام بذلك ..

★ ★ ★

وبينما كنت أتصبب عرقًا ..
دفعت أحد الأذرع ذات الشكل المنحدر ..
بخزانة التحكم والتوجيه ..
وباندفاع قوى .. عدنا مرة أخرى إلى الفضاء ..
الهادئ .. الساكن ..
وقمت بإبطاء سفينة الفضاء .. وجعلتها تسبح فى هدوء ..
بعد إبطال المحركات الأيونية ..
ذلك أنها تستحق الراحة .. دون شك ..
ولم يعد هناك مبرر للرعب فى الوقت الحاضر ..
كنا صامتين جميعًا ..
فالكل كان مشغولًا باستجماع قواه .. وأعصابه المتوترة ..
بعد هذه المعركة الفضائية .. المروعة ..
قال (زارا) بصوت خافت :
ـ شكرًا ياكابتن :
ربت (عادل فوزى) على كتفى .. وقال :
ـ لابد أنهم سوف يخصصون ميدالية خاصة لنا .. فقد دمرنا معظم
الأسطول الفضائى المريخى .. بضربة واحدة !

★ ★ ★

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

اغتيال كمبيوتر

الخيال العلمى إبحار فى عوالم غامضة مستقبلية ، يصادف فيها أبطال القصص أحداثاً مثيرة .. غريبة ، ولكنهم يتغلبون عليها بالذكاء والشجاعة والإيمان بكل القيم الإنسانية ، ومن أحداث هذه المجموعة الجديدة من القصص :

- أكبر كمبيوتر فى العالم يريد أن ينتحر لسبب مجهول !
- أغرب مغامرة لكائن غريب داخل الجسم البشرى !
- رحلة إلى كوكب يعيش عصور ما قبل التاريخ !
- معركة رهيبة فى عمق الكون !

وغيرها من القصص المثيرة من الخيال العلمى .

إن قراءة سلسلة نوفا متعة لا تنسى ..

المؤلف

رءوف وصفى

فى هذا الكتاب

الصفحة

- اغتيال كمبيوتر ٥
- المغامرة المستحيلة .. ٤٣
- الديناصور والزمن ... ٦٣
- حكم بالإعدام ٨٥
- استعراض النصر ١٠٣
- سر أبى الهول ١١٣
- البيضة الأثرية ١٢٧
- ذات صباح فى عام ٢٠٠١ ١٤٧
- بضربة واحدة ١٥٥

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر
١٢٥
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر البلدان العربية والعالم